الشيخ أحمد بن آدب

شيخ المشايخ وقطب الشعراء

تم نشر هذا الكتاب ضمن سلسلة
- التراث الكنتي البوسيفي -
(أدبيات أهل آدب) - (4)

- **الكتاب:**
الشيخ أحمد بن آدب
شيخ المشايخ وقطب الشعراء
- **المؤلف:**
أدي ولد آدب
- **عدد الصفحات:** 128 صفحة
- **مقاس:** 16×24 سنتم
- **الطبعة الأولى:** مراكش 1442هـ/ 2020م
- **الكلمات المفاتيح:** التراث الكنتي، أدبيات أهل آدب، تراجم، نصوص شعرية
- **الحقل المعرفي:** الآداب/ / الأدب الموريتاني/ تراجم
- **ديوي:** 800

رقم الإيداع القانوني: 2020 MO 4425
الرقم الدولي: 978 – 9954 – 618 – 87 – 5

جميع الحقوق محفوظة © 2020- المغرب

الناشر:

مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال،
4/ 483 الوحدة الرابعة، الداوديات - مراكش - المغرب
(212) 05 24 30 73 59
www.afaqedit.com
Email: afaqedit@gmail.com

تصميم الغلاف: مؤسسة آفاق - مراكش – المغرب
الطباعة: المطبعة والوراقة الوطنية – مراكش – المغرب

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال.

سلسلة التراث الكنتي البوسيفي
(أدبيات أهل آدب)
(4)

الشيخ أحمد بن آدب

شيخ المشايخ وقطب الشعراء

الدراسة والتأليف
أدي ولد آدب
جمع المدونة وبعض المعطيات
الأستاذ الأديب: حم بن آدب بن حم

إهداء

إلى الشيخ أحمد بن آدب.. في مثواه الأعلى

إلى

فَتًى.. قدْ بَكَتْه المَكْرُماتُ.. ولمْ يَكُنْ بَكَاهُ طَريفٌ.. يَوْمَ بَانَ.. ومُتْلَدُ
هُمَام.. إذا مَا قَالَ وَاصِفُ فَضْلِه: مُضَاهِيهِ.. لا يُلْقى.. فليْسَ يُفَنَّدُ
هُمَام.. بِهِ شَمْل الفَخَارِ.. مُجَمَّعٌ ولكنْ.. بِهِ شمْل الثَّرَاءِ.. مُبَدَّدُ

كتبه سنة 1944م- نيابة عنا:
الشاعر المفلق: محمد عبد الله بن عبيد الرحمن العلوي

الفهرس

إهداء 7

أولا: هوية مركبة للشيخ أحمد بن آدب: من المهد إلى اللحد 13

ثانيا: الفتى المولود شيخا 19

ثالثا: رب البيت، وباني الدارين 29

رابعا: ميراث الموسوعية الوهبية: الطفل المولود علَّامَة عَلَما 37

خامسا: سماحة الشيخ: سخاء الروح والراحة 41

سادسا: جامع المشيختين: شيخ الدين، وشيخ الدنيا 47

1- الشيخ الصوفي: تربية الشيخ وشيخ التربية 54

2- الشيخ القبلي: سياسية الزعيم، وزعيم السياسة 63

سابعا: القطبية الشعرية 73

1- وراثتها 73

2- مقوماتها الفنية 75

3- قطب الشعراء، ومدار المشاعرات 82

ثامنا: مختارات من ديوان الشيخ أحمد بن آدب 95

تاسعا: بعض رسائل الشيخ أحمد بن آدب 115

الشيخ أحمد بن آدب

كان يرىٰ مشروع حياته (**الجمْع بيْن الضّرَّتيْن**، والقِرَانَ بيْنَ **الحَسَـنَتَيْن**، والحُصولَ علىٰ كِلْتا **السعادَتَيْن**، والفوْزَ بكلا **الفَخْريْن** و**العِزَّتَيْن**، ما لا يُوصلُ إليه، ولا يُحْصل عليه، إلا بمحْض فضْلِ الله وعِنايَته، وبركة التعلق بخاصَّتِه من أهْل وُدِّهِ وولايَتِه).

قبس من رسالته إلىٰ الشيخ سيدي باب

أولا

هوية مركبة للشيخ أحمد بن آدب
من المهد إلى اللحد

بدلا من المقدمات **"الطللية"** المألوفة، سأحاول هنا رسم صورة مركبة لـــ **"الشيخ أحمد بن آدب؛ شيخ المشايخ، وقطب الشعراء"**، بطريقة غير نمطية، تقتبس **ملامح هوية شخصيته المدروسة** من **لقطات** متناثرة هنا، وهناك، وهنالك، **وصفه** وحلاه بها **من رقَّصه** عند ميلاده، **ومن مدحه** في حياته، وحتى **من رثاه** بعد مماته، ليتجلى **المرسم** الذي أشتغلُ فيه كبيرا **واسعا**، يمتد **من المهد إلى اللحد**، وتشتبك فيه **عدة ريشات**، تمتاح ألوانها المتعددة من محابر كثيرة، تضافرت فيها أيادي، وعقول، وعواطف، **فريق من العلماء الفضلاء الشعراء** عبر التاريخ، على **رسم لوحة** من القيم المثالية لشيخ رأوه يستحقها.

فالأبيات الخمسة التي **أنشأها** وأنشدها **عبد القادر (آدب)** بن سيد الأمين البوسيفي الكنتي، **مَثْنَى وثُلاثَ**، في أذن ابنه **الشيخ أحمد عند** مولده، وهدهد بها مهده، هي **المفاتيح السحرية** الأولية التي اكتشفتها لتفكيك بناء شخصيته، وتركيب مقومات مشيخاته المتعددة الأبعاد.

فهو - حسب تنبؤات والده آدب- قد ولد شيخا، بكل معاني الكلمة، حيث نفث في روعه هدهدات شعرية جمعت له - وهو ما يزال في المهد صبيا- بين صفات **"الشيخ"**، و**"نبراس النباريس"** المهتدى به، و**"المعلم"** بكسر اللام، أو بفتحها، ثم **"العالم"**، وصولا إلى **"العَلَّامَة"**، سدرة منتهى أوصاف المعرفة

والعرفان، حاكما له بأنه سيكون مهوى أفئدة الناس، ومحج وفود ذوي الحاجات، وملتمس التخويل المادي، والتقديس الروحي، وبأن مدد عطائه، يفوق مد البحار، وانهمار الأمطار، وأن يمن جود كفه - كعصا موسى- يكسر صخور البخلاء إذا لامستها عطاياه، حتى يصبحوا أجوادا، كما أن بحور العلم تتفجر - لعقول الجهلاء- من راحتيه... وأنه - باختصار الاختصار- هو الفخر الكنتي الكامل الماثل، يمشي بين الناس على قدميه، وأنه فاق الحاضر والغابر من أهله، وقومه...

ثم جاء **أبوه الثاني** وشيخه: أخوه الأكبر: **سيدي ولد آدب**، وكتب له قصيدة **"التربية"** التي جعلها له بمثابة **"جنة المريد، دون المريد"**، وضمَّنها: **"إرشاد السالك لأقوم المسالك"**، ووضعَ له فيها قواعد السلوك، وأُسُسَ الوُصول **إلى** أسمى المقاصد، عبر أجمل المراصد... راسما له عبرها خريطة طريق استحقاق لقب **"شيخ المشايخ"**، الذي منحه إياه، فيما بعد، قائلا:

مني إلى **شيخ المشايخ** أحمدا.....

أما أخوه **محمد الحوار** الأكبر منه أيضا، فقد اعتبره: **"ثمال اليتامى"**، و**"مشكي الشكاة"**، واعترف له بأنه "هو **الخليفة** منا عز من خلف".

وبعد هذا وذاك قام **الشيخ أحمد** برمي نفسه- ولو من بعيد- بين يدي شيخه الآخر: **الشيخ سيدي باب** بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي الأنتشائي، حفيد شيخ **آدب** والد **الشيخ أحمد**، حيث راسله، كاتبا: «**ومُرَادِي لَفْتَةٌ صَمَدِيَّة، مِمَّنْ قُدِّسَ فِي أَزَل الأزليَّة، برحِمة الرحْمانية... تنيرُ صدْرِي، وتُنِيفُ قدْري**، وتبلِّغني من كلِّ خيْر، ما دريْتُ وما لا أدْري... ومن أجْل ذلك **أطلُب** منكمْ **الجمْع بيْن الضّرَّتيْن**، والقِرَانَ بيْنَ **الحَسَنَتَيْن**، والحُصولَ على كِلْتا **السعادَتَيْن**،

والفوْزَ بكلا **الفَخْرِيْن والعِزَّتَيْن**، ما لا يُوصلُ إليه، ولا يُحْصل عليه، إلا **بمحْض فضْلِ** الله وعِنايَته، **وبركة التعلق بخاصَّتِه** من أهْل وُدِّهِ وولايَتِه»[1].

وفي **لحظة** نشوة **فخر** واحدة، **ندَّتْ** من قبضة **تواضع الشيخ**/ الشاعر، خلال **استعراض** بعض **فتوته** أمام **"ليْلاهُ وميّه"**، قال الشيخ أحمد:

سَـلِي - مَـيّ- السّـنِينَ الغُـبْرَ عنِّـي لـدَى عَـضِّ السِّـنِينَ بِكُـلِّ سِـنِّ

مفتخرا بأنه - في مثل هذه الظروف- يهين خيار المال، ولا تهينه، وأنه تعرفه الأشعار والسُّمَّار، ودَنْدَنَات المُطربين، ونحْر الإبل، وإهداؤها...

ثم لا نجده - بعد ذلك- يصور ذاته إلا في **مقام العبودية**، مسلطا **"نفسه اللوامة"**، على **"نفسه الأمارة"**، ساعيا إلى **"النفس المطمئنة"** وفقا لمنزع أبيه وذويه، واصفا شخصه بأنه:

عبدٌ علا الشيْبُ فوديْه وما كتمَهْ.....

وأنه:

عَبْـدٌ سَـفِيهٌ كفَـاهُ اليـوْمَ أنْ بَاعَـا بـاقٍ بفـانٍ، يَظُـنُّ الـرِبْحَ؛ فانْبَاعَـا

متضرعا:

ألا مَـنْ لعبْـدٍ في الهـوى وقرُونِـهِ بدَا الفجْرُ قُسْـرا مـن ليـالي قُرونِـهِ؟
فلـيْس لـه إلا الإلـهُ، وعَفْـوُهُ وخَلْـعُ رِدَاءيْ لُهُـوِهِ، وَمُجُونِـهِ

أما مادحوه فيصوره أحدهم، بأنه... **هُمَامٌ** يواسِي بالطريفِ، وبالتَّلِيدِ يَرَىٰ **صِلَةَ الوُفودِ** عليْه فرضا، **ويَدْعُو الجَفَلَى**، ويُهْدِي **نداهُ** للقرِيبِ، وللبَعيدِ، وينال **طلابُ الحاجات** عنده، ما شاءوا منْ كرَمٍ وجود، وأنه بذلك **"سادَ القبائلَ** في صِباه، ببَحْر مواهبه الفريد، حتىٰ أصبح **تهش لمدحه** غر **القصيد**.

[1]- هارون بن الشيخ سيدي: مسودة الجزء الخاص بكنته من كتاب: **الأخبار** "المدون"، ص 134.

أما محمد محمود بن سيدينا الملقب **"أفَّافَ"**، فيعْتَبِرُ **محامدَ الشيَّخَ أحْمَدَ** قد **"عَمَّتْ جميعَ الوَرى فضْلا وإحْسانا"**، وأنه **محيي المَكَارمِ**، ومقتنصِ شريدِ **المَجْدِ**.

(و) إنْسان عيْن الوَرى، في الفضْل قاطبةً ما إنْ تَرَى مِثْلَهُ- في الفضْـلِ- إنْسـانا

أما **مؤبنوه** من الفضلاء، والعلماء، الشعراء؛ فلعل **أكثرهم نجاحا** في رسم أبدع صورة له، يوم تولَّى إلى ربه الغفور الرحيم الكريم، هو صديقُه **الشاعر** القدير: مُحمد عبد الله **بن عبيد الرحمن** العلوي، في مرثيته له، حيث **اعتبر الشيخ أحمد** بن آدب **رب المَعَالِي والمَعَانِي**، **وسيْفَ الهِدَايَةِ**، **وَشَمْسَ العُلُومِ**، **وحامل لِـوَاءِ الدِّيـنِ**، **وحُسَـامَ المَكْرُمَاتِ**، **وسيد أرْبَابِ المَقَامَـاتِ**، الذي **بكته العلْيَاءُ**، **والتَّقْوَى**، **وعِلْمُ الشَّرْع**، وَمَا قدْ رَوَىٰ **أهْلُ الحَدِيثِ**، وأسندوا، **ومَا سَنَّ الجُنَيْدُ** لِحِزْبِهِ إنه:

تَقِـيٍّ.. نَـقِيٍّ.. لا تُضَـمُّ لَهُ يَدُ، مِتْلاف لمَالِه، **وغَيْثٌ عَلَىٰ أهْلِ الحَوَائِج**.. يهمي، ولا يُـرْعِدُ:

فَتًى.. قدْ بَكَـتْه المَكْرُماتُ.. ولمْ يَكُـنْ بَكَـاهُ طَريـفٌ.. يَـوْمَ بَـانَ.. ومُتْلَـدُ
هُمَـامٌ.. إذا مَـا قَـالَ وَاصِـفُ فَضْلِـه مُضَاهِـيهِ.. لا يُلْـقى.. فلـيْسَ يُفَنَّـدُ
هُمَـامٌ.. بِـهِ شَـمْل الفَخَـارِ.. مُجَمَّـعٌ ولكـنْ.. بِـهِ شـمْل الشَّـرَاءِ.. مُبَـدَّدُ

إنه **فقيد**.. **اليتامى**، **والأيامى**، رافد كل **المسترفدين**، **ومكرم الأضياف** عموما، وأضياف الشتاء خصوصا.

أما القاضي الأديب **عبد الرحمن بن بلال** الجمَلِّيّ، فقد قال في رثائه إنه **إمَامٌ**، كانَ **للحاجاتِ مَأْوَى**، وأنه **هادي المهتدين**، ومردي **المعتدين**، **المخبر عن الغيب** منذ صباه، **المؤثر بالحوائج**.. الذي **تَزَوَّدَ** مِنْ دُنَاهُ **بِزادِ تقْوى**، فصار:

تَخـافُ العُـرْبُ منْـهُ، مـعَ النّصـارَى وتَبْعَـــثُ مـــن مَخافَتِـــهِ الهَـــدَايا
وكـمْ -مـن غـيْرِ قُـلٍّ- بـاتَ يـدْعُو خَمِـيصَ الـبَطْنِ، أضْـلُعُه حَنَايَـا

أما **العالم القاضي** الشاعر: **محمد بن الدي** بن أحمد بن سيد الأمين بن مُحمد الطالب اعمر بن خيري **ابن عم الشيخ أحمد** بن آدب، **فيبكي** فيه **منظومة قيمه المُثلى**؛ فهو **بَقِيَّةُ المجْد، والكَرَمِ، والشُّكْر، والصَّبْرِ، والخُلْقِ الجميلِ، وحُسْنِ الوفَاءِ، والعِلْمِ، والحِلْمِ، والسِّرِّ المَصُونِ عَلَى صْوْنِ السَّرِيرَةِ..**

والـنَّظْمِ، والنَّثْـر، فِي أعْـلَى بَلَاغِتِـهِ والمِـدْفَعِ، الـدَافِعِ، المِقْـدَامِ، والقلـمِ

وتبقى اللقطة السحرية الأخيرة في رسم هذه اللوحة المشتركة، الراصدة لمنظومة قيم **الشيخ أحمد بن آدب** – ما بين المهد إلى اللحد– بريشة، الأديب **عبد الرحمن بن بلال**:

فلـــــو أنَّ المَنِيـــــة بالمعـــــالي عـــن الأشْراف تُـــدفَعُ، والرَّزَايـــا
لكـــانَ الشـــيْخُ أحْمَـــد ذا حيـــاةٍ مُخَلَّـــــدَةٍ، إلى بعْـــــثِ البَرَايـــــا

ثانيـــا

الفتى المولود شيخا

– **الشيخ أحمد بن آدب** (عبد القادر) بن سيد الأمين بن مُحمد بن الطالب اعمر بن خيري البوسيفي الكنتي، آخر العنقود من أبناء **آدب**، (1865 – 1944م)، من أمه **السعيدة** بنت الأمين الجيد البوسيفية، بيت العلم والقضاء والصلاح في **أولاد بوسيف الخضر**، ولد في **"وَزَان"** بفضاء **"أكان"** ربْع عَزَّةِ البُوسيْفيّين وعِزَّتِهم، شمال **"مقطع لحجار"**، وتوفي بحضرته قرية **"النبط"**، في **تگانت**، وقد أطلقت عليه عدة أسماء للتوقير والتدليل، مثل: **لمرابط**، **والدامي**، **وشيخ أمي**، لكنه أخذ **صفة الشيخ اسما**، منذ ميلاده، وكأن أبويه سمياه بذلك باعتبار ما سيكون فعلا، إذ رأينا والده يتنبأ له بذلك المستقبل الأكبر من مجرد هدهدة طفل وليد في مهده، وكأنه كان يُرَشِّحه باكرا لخلافته في الأسرة، وفي الطريقة، وفي كلِّ الفَضائِلِ، لقد قال فيه:

إليكَ تُضْـرَبُ أكْبَادُ العَطامِـــيسِ[1] يَـا شَـيْخُ أحْمَـد نِـبْرَاسُ النَّبَـاريسِ
تَسْـعَى إليْـكَ رُوَادُ الحَـاجِ مِـنْ بُعُـدٍ فَيُفْلِحُـــونَ.. بتخْويـلٍ.. وتقْـدِيسِ

وقال له:

الشيخ أحمـدُ.. فخْـرٌ.. حـين يُفْتَخَـرُ مـــا إنْ يُشـــابِهُه بحْـــرٌ.. ولا مَطـــرُ

[1]– **العَطامِيسِ**: العيطموس من الإبل التامة الخلق، وكذلك من النساء.

بجُودِ يُمْنَـاهُ.. جـادَ البـاخِلُونَ.. كـما - مِنْ راحتَيْهِ- بُحُـورُ العِلْـمِ تَنْفَجِـرُ
معلّمٌ.. عـــــــالمٌ.. علَّامَـةٌ.. عَلَـمٌ قد فــاقَنا.. وكـذا مَـنْ قبْلَنـا غَـبَرُوا.

وقد وصفه أخوه الأكبر، وشيخه بعد أبيه: سيدي ولد آدب، في أبيات شعرية بلقب: **"شيخ المشايخ"**:

مِنِّـــي إلى شـــيْخ المَشَـــايِخِ أَحْمَـــدا سَلامُ كقـرْن الشـمْسِ، أَشْرَقَ طالعـا

كما اعترف له أخوه أيضا **محمد لحوار** بالخلافة بعد موت أخيهما الأكبر **سيدي** بن آدب، فخاطبه في قصيدة يترَضَّاه فيها بأنه: (هُوَ **الخَلِيفَةُ** مِنَّا، عَزَّ مِنْ خَلَـف)، رغم أن **محمد لحوار** أكبر منه، بل إن والده **آدب**، بعد تنبئه له بالمشيخة، والسيادة، والعلم والكرم، تنبأ بتفوقه على **"أهل آدب"**، وحتى على جميع أسلافهم الغابرين، حيث قال، في أبياته السابقة: **"قد فـاقَنا.. وكذا مَنْ قبْلَنا غَبَرُوا"**.

وهي **فراسة**- في الحقيقة- كانت **تنظرُ إلى الغيْب من وراء سترٍ رقيق**، حيث بلغ **الشيخ أحمد** من **المشيخة** الروحية **الصوفية**، والزعامة **السياسية**، والوجاهة **الاجتماعية**، والمكانة **العلمية**، والقطبية **الشعرية**.. أكثر مما ناله أفرادُ العائلة المُتألقون جميعا في مختلف هذه الأوصاف، فكان **نشْرا للفِّ** هذه الأسرة، وذروة لشهرتها، وقطبا لحضرتها.

وهكذا بدأ **التفاعل** الخلاق- باكرا- بين صفتي **الفتى** و**الشيخ**، حيث تربَّى **الشيخ أحمد** في كنَفِ أبوَيْه وأخَوَيْه، وكان المُدَلَّل بيْنهم جميعا، وقد استقطبته في زهرة شبابه ثلاثية الفتى: الفارس/ الشاعر/ العاشق، الذي يُبْدي فُروسيتَه على صَهَوات الخيْل، وشجاعتَه في المعارك الحتمية في البلاد السائبة، ويتفنَّنُ في الغزل بأميرات الجمال والحسب في المنطقة، إلى درجة أن أخويه: **سيدي**، و**محمد الحوار** كانا يجتهدان في محاولة كفكفة جموحه، حتى ضاق **بنفْسهما اللوَّامة**، فقال يخاطبهما في بواكيره الشعرية: (البسيط).

لو أدْركا أخَـوَايَ -الآنَ- مـا صـنَعا ... بِي الوجْدُ، لم يَـدْرِيا حِلْـمًا، ولا وَرَعَـا
والله لـو علِـمَا مـا قـد أصـبْتُ بـه ... فِي ما ظننتُ، لَفِي ما رمتُ قـدْ شرَعـا
إنْ مَـتُّ مـن أجْلِـهِ رُوحـيّ تلـزمهمْ ... فِي شرْع مَنْ قد غدا للشرْع قد شرَعـا
بَانَ الـذين بنَـوْا في القلْـبِ مَسْـكنَهمْ ... وخَلَّفوا الشجْوَ، والأشْجَانَ، والوَجَعا
فالعيْنُ، منْ كمَدٍ، تبْكِي، ومنْ أسَفٍ ... والقلـبُ، مـن وَلَـهٍ، كأنُّـه نُزِعَـا
وكنْـتُ فِي وَلَـعٍ، والحُـبُّ تيَّمَنِـي ... والبَيْنُ- يـا ويْلتِـي- قـد زادَني وَلَعـا
ولامَـتِ النـاسُ في حُـزْنِيّ إثْـرَهمُ ... والحُزْنُ للقلْبِ- يا للناس- قد صَرَعا
ليْتَ العَـذولَ الـذي بالشَّـجْوِ أنَّبَنِـي ... بـمَا فُجِعْـتُ بـه- مـنْ بيْـنِهِمْ، فُجِعـا
قـد كـانَ يُضـحكُني دهْـري بقـرْبهمُ ... واليوْم أبْدَلِني، من ضِحْكِيَ، الجَزَعـا
والفصْلُ، بعْد لذيذِ الوصْل، أجْهَدَنِي ... والقُرْبُ بالغَرْبِ مَبْـدُولٌ؛ فقـدْ مُنِعـا
وكثْـرَةُ المَـرْءِ- قـد قـالوا- بإخْوَتِـه ... والقلُّ منْ نَحْوِهمْ بِي الآنَ قـدْ وقعـا[1]

ولم يزل هذا الفتى يعلن جموح نفسه، والانقياد لهواه، بكل عناد:

وَلِي أَذُنٌ صَمَّا، عَـنِ العَـذْلِ، في الهَـوَى ... إذا سَمِعَتْ عَذْلًا، فلا سَمِعَتْ نَجْوَى
وعَيْنَانِ عَمْيَاوَانِ، عَـنْ نَظَـرِ السِّـوَى ... وإنْ كانَ قدْ شَطَّ المَـزارُ بِمَـنْ أهْـوَى
إذا هـيْمَنَ الرَّعْـدُ الحِجَـازِيُّ شَـاقَنِي ... أو البَرْقُ نَجْـدِيًّا، فـأغْرَى بِيَ الأهْـوَا[2]

ورغم حرص الأخوين على رضا الشيخ أحمد، وإرضائه، الذي يبدو أنه قد كان وصية إليهم من والدهم، فقد **وضع** كبيرهم **سيدي** بن آدب **المحرمات** وحدها **خطا أحمر** تتوقف عنده دائرة مجاراتهم لفتاهم المدلل في كل ما يحب، حيث يهدئ من غلواء تماديه المعلن سابقا في حبه وغزله غير المرضي عندهم، قائلا:

---

[1]- **بَانَ**: نأى وفارقَ. **الشجْو**: الهم والحزن والغم. **الأشْجَان**: الهموم والأحزان. **كمَدٍ**: ذهاب صفاء الوجه من شدة الحزن. **وَلَه**: اشتداد الحزنه الذي يكاد يذهب العقل. **تيَّمَني**: أذهب عقلي من الحب. **وَلَعا**: حبا وتعلقا شديدا بالشيء.

[2]- **عَذْلًا**: مبالغة في اللوم. **السِّوَى**: الغير. **شَطَّ**: بَعُدَ.

عَتَبْتُكَ.. فاهْنأ.. لا عِتَابَ.. ألا فاهْنا ومأْتاكَ - أيًّا كانَ- عنْـدي هو الأهْنَا
أُحِبُّ الـــذِي أحْبَبْـتَ.. غَـيْرَ مُحَـرَّمٍ وأبغضُ ما أبْغضتَ بالحِسِّ، والمَعْنَـى
وأبذلُ.. مَـالِي.. في رضـاكَ.. وكلَّـما حَمَيْتكَ.. لمْ أمْنَعْهُ حِرْصًا.. ولا ضَـنَّا
ولكن.. لأمْـرٍ.. لمْ أُكَلَّـفْ.. بنشْـرِه مَغَبَّـتُه محْمُـــودَةٌ.. لَـنْ اسْـتَأْنَى[1]

وفي هذا السياق نجد أخاه الثاني **محمد لحوار** يبالغ في ترْضيته، ومسايرته في جميع تصرفاته المشْروعة، حيث يخاطبه، وكأنه هو الأصغر، والشيخ أحمد هو الأكبر:

سلام مـرتهن، بالشـجو، والأسَـفِ حِلْفِ الأسى، والبُكا، والأدْمع الذَّرُفِ
مُـرْضٍ بِـمَا يُشْـتَهَى مِنْـهُ، ومُنْكَسِـرٍ وبالـذي لمْ يكـنْ، وَكـانَ، مُعْتَـرِفِ
إلى ثِمال الورَي، مُشْكِي الشُّكَاة، ومَنْ هُـوَ الخَلِيفَـةُ مِنَّـا، عَـزَّ مِـنْ خَلَـف!
وبَعْـدُ فلْـتَعْلَمَنْ أَنِّـي وَخالِـقِنَـا عمَّا يَسُـرُّكَ -مِنِّـي- غَـيْرُ مُنْحَـرِفِ
ولا أقـــصِّرُ فِي أَمْـرٍ، تشـيرُ بـه وَغَـيْرَ مَـا تَرْتَضِيـهِ لمْ أَقُلْـهُ بـِفِي
ولمْ أَفَضِّلْ - بفضْلِ الله- كوْنَكَ عـن دَرْس المـدارس، في مَلْهَـاك بـالعزف
أَمَّـا الفِـرَاقُ فـلا تـنَهضْ رَواحِلـه مَا اعْتِيدَ- قطُّ- فِـراقُ الـلّام للْألـفِ
فارْحَلْ، بنَا، كُلّنَـا، إنْ كنْـتَ مُـرْتَحِلا أو فَلَـتُقِمْ مَعَنَـا فِي خـيْرِ مُؤْتَلَـفِ
إنَّ المقـامَ- بـلا جـدْواكَ- يـا أمَـلِي- عيْنُ العَنَا، وَالأَسَى، والحُزْنِ، والتَّلَـفِ[2]

ورغم **فاعلية الرقى** الروحية التي **نفثها** الأخوان: **سيدي**، و**محمد لحوار** ابني آدب، **في روع** أخيهما **الشيخ أحمد**، حتى **أدرك** الفتى مبكرا أن "من يتقي الله البطلَ"، فإن حب الجمال الفطري - بمختلف تجلياته- لم يخب في روحه، فكان - بفطرته - يعشق المنظر الحسن، والصوت الجميل، وتستثير حسه المرهف وشاعريته الأصيلة مختلف مؤثرات الطبيعة، من الترانيم الشجية عموما، وهديل

[1]- **ضَـنَّا**: بخلا. **مَغَبَّـتُه**: عاقبته وآخرته. **اسْتَأْنَى**: تأنى في الأمر وتمهل.
[2]- **الذُّرُف**:السائلة. **الثِّمال**: الملجأ والغياث. **العَنَا**: التعب والمشقة.

الحمام خصوصا، ووسوسة حلي **"صواحب يوسف"**، وحتى عزيف الريح، وهفهفة النسيم العليل، وتخافق البروق في الآفاق، وعلى قمم الجبال، من حوله، وكذلك خرير الماء خلال واحات **"قصر البركة"**، في **"تگانت"**، أيام إعادة تعميره، حيث كان – كما وصفه الشيخ أحمد– **"جنة الأرض"**:

فـذا العـالَمُ العُلْـوِيُّ راضٍ بنـاءَه وذا العـالَمُ السُّـفْلِيُّ جَنَّـةُ عدْنِـهِ

***

والمـاءُ، جـارٍ، حَوَالَيْـهِ، يَهِـفُّ، ومـا في الأرْضِ مِـنْ ثَمَـرٍ هـا هـي تُثْمِـرُهُ[1]

لقد ظل **الشيخ أحمد**:

تُشَـوِّقُهُ الرِّيـاحُ إذا تغنَّـتْ وتُبْكِيـهِ الطَّلُـولُ عَفَـتْ بَـوَالِي
ويُعْجِبُـه النَّسـيمُ يَمُـرُّ مَـرًّا وتُوحِشُـه الـبُرُوقُ عَـلَى القِـلَالِ
ويُبْكِيـهِ الـتَّرَنُّمُ وهْـوَ مُغْـرًى بقَعْقَعَـةِ الحِجَـالِ مِـنَ الخِـدَالِ[2]

وهو كذلك يرى أن:

أضرّ الـشَّيْءِ بالقلْـبِ العَلِيـلِ هَـدِيلُ الـوُرْقِ تَهْتِـفُ بالهَـدِيلِ
كـذاكَ إذَا يَئِـلُّ الـبَرْقُ وَهْنـا فوَيْـلٌ للعَلِيـلِ مـنَ الأَلِيـلِ[3]

وفي هذا السياق، يناجي حمام واحات **"السمْسِيات"** في **"تجگجة"**، منتجعه الأثير، في زمن قطاف البلح:

حَمَـامَ الشَّمْسِـياتِ أثَـرْتَ شَـوْقِي حنانـكَ يـا حَمَـامَ الشَّمْسِـياتِ

---

[1]– **يَهُّف**: يسرع في سيره. وهف الزرع انتشر.

[2]– **عَفَتْ**: امحت آثارها. **بَوَالِي**: دارسة. **قَعْقَعَة**: تتابع صوت الرع ونحوه. **الحِجَالِ**. الخلاخيل، الخدال: الممتلئة.

[3]– **يَئِلُّ**: البرق يلمع في سرعة.

تَنُــوحَ تَوَجُّعًــا مِــنْ غَــيْرِ دَمْــعٍ ونَــوْحِي بالــدُّمُوعِ الــذَّارِياتِ
فإِلْفُــكَ فِي جِــوَارِكَ، فِي غِيَــاضٍ وإِلْفِــي فِي الفَيَــافِي الشاسِــعَاتِ[1]

ثم يفتتح نجوىٰ شعرية أوسع وأعمق مع الحمام المُتَرَنِّم، عبر قصيدة تكاد تُغَنِّي نفسها، لشدة ثرائها الموسيقي:

قَــرَحَ الحَــمَامُ - بــأدْمُعِي- أجْفَــانِي بفُنُــونِ ألْحَــانٍ عــلى أفْنَــانِ
ففنيــتُ إذْ أفْنَــي العَــزاءَ بشــدْوهِ مــا للحَــمَامِ بشــدْوه أفْنَــاني؟
وَعَــلَى الغَــضَى مُــتَرَنِّمًا إذْ جَمْــرُهُ يُذْكِي الأضالِعَ، وَهْــوَ فِي الأغْصَــانِ
وغَــدَا يُطــارِحُنِي البُكــاءَ، وإلْفُــهُ دَانٍ، وإلْفِــي - عنْــوَة- أقْصَــاني
فكَــــأَنَّنِي بِبُكَائِــــهِ أوْصَــــيْتُه وَكَأَنَّــــهُ- ببُكائِــــه- أوْصَــــانِي
مــا إنْ لنــا مــن ألْفَــةٍ وتفــاهُمٍ بل نَحْنُ - منْ بـرْحِ الجَـوَى- إلْفَـانِ
يــا قلــبُ، مــا لــكَ وَالحَــمَامَ وَأرْبُعَــا لعــبَ الزمــانُ بأهْلِهَــا فِي الفَــانِي؟
فلــئنْ غــدتْ مَــأْوًى لِغِــزْلَانِ الفَــلَا فِيهَــا- وَرَبِّ البَيْــتِ ذِي الأركَــانِ-
غَازلْــتُ غِزْلانًــا، زَهَــتَ، إنْسِــيَّةً مِــنْ قبْــلِ ســاكِنِها مــنَ الغِــزْلانِ
حِــبٌّ شُــغِفْتُ بحُبِّــهِ، وبوصْــلِه عنِّــى يَضِــنُّ، وَشــوْقُه أضْــنانِي
وَأمَــرَّ أَحْيَــانِي بهَجْــر قاتــلٍ مــا ضَرَّ لــوْ -بِوِصَــالِهِ- أحَيَــاني
وأمَــاتَ ذِكْــرِي، لا يُــرَى لِي ذاكــرٌ وبــذِكْرِهِ مَعْمُــورَةٌ أحْيَــانِي
خاطَبْتُــه بلســانِ حــالي شــاكيًا فأجَــابَ بــالأحْزَانِ وَالأَشْــجَانِ[2]

ورغم أن نجوىٰ هذا الفتىٰ مع الحمام لا تكاد تنتهي، فإنه أراد أنْ لا نفهم أن فتوته تختزل، في مطارحته الأشجان والألحان، فهناك نص يتيم في تجربة **الشيخ**

[1]- **الذَّارِياتِ**: الريح التي تحرك التراب وتذريه. **غِيَاض**: الأجمة والموضع الذي يكثر فيه الشجر ويلتف.
[2]- **أفْنَانِ**: جمع فنن وهو الغصن المستقيم من الشجرة. **يُذْكِي**: يوقد. **البرْح**: شدة الأذىٰ. **الجَوَى**: شدة العشق التي تورث الحزن. **والأَرْبُع**: أماكن ينزل فيها وقت الربيع. **أضْنانِي**: أهزلني.

أحمد، حمل – ولو بشكل خجول ومختصر– نَفَسًا فخريا بمقومات فتوته، منتقلا من مخاطبة الحمامة المطوقة، إلى مخاطبة "مَيِّ":

أثــارتْ لِي الشُّــجُونَ، بكُــلِّ فَــنِّ ... مُطَوَّقَــةٌ عَــلَى فَــنَنٍ تُغَنِّــي
بكتْ، فبكيتُ حينَ بكتْ، وأذْرَتْ ... مــدامعَ مُقْلَتَــيَّ، بــلا تَــأنِّ
سـيَظهرُ مَحْـضُ تِـبْرٍ مِـنْ نُحـاسٍ ... إذَا مَــا التِّــبْرُ سُــنَّ عَــلَى مِسَــنِّ
سَـلِي – مَـيّ– السّـنِينَ الغُـبْرَ عنِّـي ... لــدَى عَــضِّ السِّــنِينَ بِكُــلِّ سِــنِّ
سَـلِي الأمْـوالَ تُفْصِـح–وَيْـكِ– أنِّي ... أهنْــتُ خِيَارَهــا، مَــا إنْ تُهِنِّــي
سَــلِي الأشْــعارَ، والسُّــمَّارَ وهْنــا ... سَلِي "تَنْدَيْنَ"– مَيّ– سَلِي "تَـدَنِّ"
سَــلِي يُخْــبِرْكِ عَنِّــي الكُــلُّ كُــلَّا ... بــذاكَ، وغــيْرَ ذاكَ فــلَا تَظُنِّــي
فــثَمَّ البُــدْنُ تشْــهَدُ لِي، وضــيْفِي ... ويَشْــهَدُ لِي العَــبَنُّ، مَــعَ الهَــبَنِّ[1]

وحتى بعد، **مشيخته**، وتكاثر مُريدِيه حوْله، وانتشارهم في مختلف الفضاءات الاجتماعية، في مُجْمَل تكانت، والبراكنة، والحوضين أساسا، كان ينفر من الرياء، والتظاهر بالتدين المبالغ فيه، وتكلف الزهد والدروشة، ويحافظ على بقية فتوة، يهش صاحبها، لمجالس "الأشعار والسُّمَّار"، وسماع دنْدَنات المُطربين "المُهَذَّبَة"، ومعاقرة كؤوس الشاي المعتقة، دون أن يفقد أمله في مغفرة الله، قياسا على صاحب المدفع الذي توكل على الله، ثم أطلق على نفسه رصاصة؛ فلم يمت، حسب الرواية الشعبية المأثورة، وعلى ذلك يقول الشيخ أحمد:

وشَــايٍ بــماءٍ رَنَّحَتْــه غمامــةُ ... عــلى كــلِّ كَــأْسٍ منْــه تبْــدو عَمَامَــةُ
وبـ "الوَنْدَرِيزِ" الصِّرْفِ أتْقَنَ مزْجَه ... معَ "التَّلْجِ" مَنْ راقتْ لدَيْـهِ الإقامَـةُ
وشــادٍ بإنْشــادٍ لشِــعْرٍ مُهَــذَّبٍ ... بمجْلــسِ أنْــسٍ لــيْس فيــه سَــآمَةُ

[1]– **فَنَن**: غضن مستقيم. **أذْرَتْ**: فرقت كما تفعل الريح بالتراب. **تِبْر**: ذهب خالص. السنين **الغُبْر**: الشديدة. **مِسَنّ**: آلة شحذ السكاكين وغيرها. **العَبَنُّ**: العظيم.

يميـلُ إلى وصْـفْ القُـدُود.. وتـارة لوصْـفِ خُـدودٍ قـدْ علتْهـا القَسَـامَةُ
وبعـدُ، مـنَ الـرحْمن نرْجـو سَـلَامَة فـذو المـدْفعِ المـاضي أتَتْـهُ السَّـلامَة

وفي هذا السياق يداعب أكبر مُرِيدِيه العالِم الورع: **الجيلي** بن أحمد انبسيف، زاعما أن المريد أكثر مجاهدة ومكابدة من الشيخ نفسه، الذي لا يريد أن يتظاهر للناس إلا بالفتوة والتبسط، والانهماك في **"الإمتاع والمؤانسة"**، تاركا ما بينه وبين الله سرا وخبيئة، لا يعلنهما أبدا، فيقول له:

أضَـعْتَ مَجَالِسِـي، مُـذْ غِبْـتَ عَنِّـي تُعَـانِي- فِي القَـرَاءَةِ- مَـا تُعَـانِي
عليْهـا صرْتَ مُعْتَكِفًـا، فطـوْرا عـلى النَّـوَوِيِّ، ثُـمَّ القسْـطَلَانِي
..... **ورَنَّـاتِ المَثالِـثِ، والمَثـانِي**
على حسْو الكُؤوس، أقمـتُ دَهْـري وشَدْوِ "ابْرَيْكَ"، مـعْ ذاتِ الـدُّخَان

وهنا أيضا يقول مُتَقَصِّدًا تجنيسَ القوافي، ولزُومَ ما لا يلزمُ فيها، مع استخدام فنِّ "الزريگة" الشعري المحلي[1]:

هل من كَمِيٍّ "يُكَمِّي" مدْنفا "تاري" لاقـى الهمـوم بأشـفاع وأوتـار
ولا مُـؤَنِّس يلْقـاهُ يُؤنِّسـه لا مـن قـريضٍ، ولا تحْريـك أوْتـار؟

ويجدر بالملاحظة هنا أن **الشيخ أحمد بن آدب**، لم يحاول تقمص دعاوى بعض شيوخ المتصوفة، ومُريديهم، لتبرير أفعالهم الظاهرة المُؤَهِّلَةِ للمُؤاخَذَةِ، بأنَّها "مصْروفةٌ عن ظاهِرها"، ولكنه يلتمَّس تسويغا لتعاطية التدخين، لا يخلو من طرافة، حيث يقول:

ومـا أشربُ الـدخانَ قصْـدَ تكـبُّرٍ ولا أبْتغِـي عـن مـنْهَجِ الحَـقِّ منْهَجَـا
ولكـنَّ شـيطانَ الهُمُـوم بصـدْرنا عَصـانَا فـدَخَّنَّا عليْـه ليَخْرُجـا

[1]- الزيگة بكاف معقودة، تنوب عن القاف، هو شعر موريتاني محلي مهجَّن بين ألفاظ العربية الفصيحة، وألفاظ الحسانية الدارجة.

وفي ذلك استلهام لحيلةٍ تُعْمَل -عادة- في إخراج الأفاعي من مخابئها، بإشعال النار في مداخل مغاراتها.

والواقع أن كيماء **تفاعل الفتوة والمشيخة** في شخصية **الشيخ أحمد**، تقوم على ما أكده صديقه الحميم: محمد عبد الله **بن عبيد الرحمن** العلوي، في رثائه إياه:

أولئـك قـوْمٌ كلَّهـم- فِي نَدِيِّـه- أمـيرٌ، وفي مِحْرَابِـه مُتَعَبِّـدُ

وعلى ما عبر عنه - أيضا- الشاعر محمد محمود بن سيدنا **"أفَّافَ"**، حين استشفى **للشيخ أحمد** من مرض ألمَّ به، متشوقا مجالسه المعهودة:

طـوْرًا يُـذَكِّرُنِي المَـوْلَى، وآوَنَـةً إلى القَـريضِ، بإنْشـادٍ، وإنْشـاءِ

وعن **خبيئة الشيخ أحمد مع الله** التي يعرفها الجميع، والتي لم تترك تظاهره بالفتوة يقلل من إقبال المريدين عليه، حتى أصبح - هناك- **"شيخ المشايخ"**، بدون منازع، ولا طاعن في أهليته، يقول القاضي **عبد الرحمن بن بلال**، في رثائه:

وكـمْ -مـن غـيْرِ قُـلِّ- بـاتَ يـدْعُو خَمِـيصَ الـبَطْنِ، أضْـلُعُه حَنَايَـا!
تَـزَوَّدَ مِـنْ دُنَـاهُ بِـزادِ تقْـوى ومَـا عَمِـلَ الجَـرَائمَ والخَطايـا

وإلى هذه الخبيئة أشار ابن عمه العالم السني محمد بن الدَّيَّ، في رثائه إياه، حيث سماها مرة ب **"السر المصون"**، ومرة بـ**"صوْن السريرة"**.

ثالثـــا

رب البيت، وباني الدارين

العنونة هنا تعتمدُ "تورِّيَة" مَقْصَودةً؛ حيث استلهمتُ- مُتَيَمِّنًا- قولةَ **عبد المطلب**، لأبرهة: **"إن للبيْت ربًّا سيحميه"**، وأنا أعني **بيت الشيخ أحمد** العائلي؛ فمع بوادر التوجيهات الربانية التي تلقّاها الفتى المدلل من أخويه، **سيدي ولد آدب**، و**محمد لحوار**، أخذ يستتب على مدارج السالكين، فغض من تماديه الجامح، الزاعم بأنه لن يرد نفسه عن هواها، مادام الله لم يردها عن ذلك[1]، وأنهما لو شاهدا من يحب لوقعا فيما ينهيانه عنه[2]، وأنه ليس يصد إذا أحب، ولا ينهنهه شيب القذال[3]، فسرعان ما بدأ في **تأسيس بيته** الخاص **المؤسس على التقوى**، حيث تزوج حورية بنت الوداني[4] سليلة أسرة القيادة في أولاد البح، من أولاد سيدي حيبّل، ورزق منها ببنت سمَّاها: فاطمة، زوجة تلميذه الأكبر والأقرب: الجيلي بن أحمد انبسيف.

---

[1]- يقابل توجيه سيدي له بضبط ميوله النفسية قائلا: بأني لم اردد لنفسي عن هوى...

[2]-

والله لـو علـما مـا قـد أصـبت بـه ... فيما ظننت، لفي مـا رمـت قـد شرعـا

[3]-

ولســت أصــد إن أحببــتُ حِبًّــا ... ولا ينهنهنــي شــيبُ القــذال

[4]- ولها يقول:

يَهْــلِي كــان اســمغت زيَّ ... ول خلگــــتْ مُــــدَوَّانَ
خَــيْرًا.. ذيــك الا حُــورِيَّ ... بــالغيوانْ، اتــبطْ انْيَــانَ

ثم تزوج بعد بنت الوداني هذه - في الحوض الشرقي- بالبساتية بنت أحمد "شَلَّه"[1]، البوسيفية، ورزق منها بأكبر أولاده، الذي سمَّاه على أخيه "سيدي.

ثم تزوج ربة البيت: خُديجة بنت مُحمد لمحمد شيخ أولاد سيد حيبلّ الكنتيين[2]، في تامورت النعاج، ورزق منها بأبنائه: الشاعر الكبير محمد/ ، والشاعر الفذ آدب، وسيد مُحمد آخر خلفائه، ووارثي سره وبابنتيّه: النانة: زوجة ابن عمه الورع: الخاطر بن أحمد الصغير، ولاله: زوجة الشيخ ولد انَّ الأزرقي الكنتي، زعيم جماعته.

ولعل **خير** ما **وصف** به **بيت الشيخ أحمد بن آدب**، هو **ما قاله**- في ختام رثائه- صديقه الحميم الوفي الشاعر العلوي: محمد عبد الله **بن عبيد الرحمن**، مستدركا إمكانية خلافته المستحيلة: وسد فراغه الواسع الكبير بأبنائه حسب تراتبيتهم العُمُرية:

نعـمْ، فبنُـوهُ- المُصْـطَفُون- بِنُـورهم ... سيُطْوَى ظلامُ الجهْـل، طيـا، ويُطْـرَدُ
أتَخْشـى ضَـلالَ الخلْـقِ، أوْ حَـيْرَةً لـه ... وهـمْ أنْجُـمٌ بـيْنَ الـوَرَى تَتَوَقَّـدُ؟
فسَيِّدُ ساداتِ الورى: "سِيدِيَّ" الذي ... إليْـهِ جميـعُ الفضْـل يُعْـزَى، ويُسْـنَدُ
غدا وهْوَ شمْسٌ، زايَلَ الغـيْمُ نُورَهـا ... وبـدْرٌ أخـوهُ- المسْـتَمَاحُ- "مُحمـدُ"
و"آدبَّ" نِبْرَاسٌ، به يَهْتَـدِي الـورى ... إذا غـابَ نِـبْرَاسُ الـدُّجى المُتَوَقِّـدُ
وأحْمَـدُ هـذا الخلْـق: "سِـيد مُحمـدٍ ... سـيَعْلو عـلى كُـلِّ الأنـام، ويُحْمَـدُ

---

[1]- ولها يقول:

أعَـــــــــزْ اعْلِيَّـــــــــه ... هـــــــــذا خلـــــــــق الله
لبَّيْسَاتِيَّـــــــــــــــــه ... منـــــــت أحمـــــــدْ شـــــــله

[2]- ولها يقول:

فگـــــــــد الْ تَحْجَـــــــــلِّ ... صـــــــــــــــــامكْ وذْنَيَّ
فگْصـــــــــــرْ كيـــــــــفْ الِّ ... مـــــــــا نَسْـــــــــمَعْ زَيَّ

أولئـك قـوْمٌ كلَّهـم- فِي نَدِيِّـه- أمـيرٌ، وفي محْرَابِـه مُتَعَبِّـدُ
همُ مَعْدنُ العِزِّ الـصريحِ، إذا انْتَمَـوْا وبيْـتُ المَعَـالِي، والمَعـانِي، المُصَـمَّدُ
لِبَانُ التُّقَى، والمكْرماتِ قـد ارْضِـعُوا وسـادوا جميـعَ العـالمينَ، وسُـوِّدُوا
ومـا مِـنْهمُ إلا جَـوَادٌ مُـبَرِّزٌ لـدى حَلَبَـاتِ المَجْـدِ، نَـدْبٌ، مُمَجَّـدُ
فهمْ كنُجوم الليـل؛ ضـوْءًا، وخِلْقَـةً إذا سَـيِّدٌ ولَّى يُخَلِّـفُ سَـيِّدُ
بنو الشيخ، أنـتمْ أفْضَـلُ الخلْـق كُلِّـهِ فإيَّـاكُمُ.. إيَّـاكُمُ أنْ تَبَـدَّدُوا
فجمْعُكـمُ جمْـعُ الدِّيانـةِ، والعُـلا وليس يُضاهِي الجمْعَ- في الفَضْلِ- مُفْـرَدُ[1]

أما **دارا الشيخ أحمد بن آدب**؛ فهما أيضا **تورية** مقصودة دلالتها الباطنة: **الدنيا والآخرة، ودلالتها الظاهرة** تقتصر على **داريه اللتين بناهما في "تگانت"**، رمزا لبداية تمركزه، و**"تمكنه"** واستقراره في مشيخته المتعددة الأوجه، فهو كما شارك في شبابه، مع إخوته وجماعتهم، في معارك الدفاع عن "قصْر البركة"، وما حواليها بتگانت، شارك- بعد ذلك- في إعادة إعمارها، إذ بنى في هذا "القصْرِ"- الذي كانَ من "أمَّهَات القُرَى" الكنتية- دارا كبيرة بمقاييس ذلك العصر، كانت بوابة حائطها قوسا تدخل الجمال المحملة عبْرها، وربما تكون تلك القوس الموجودة في صور أطلال "قصْر البركة" المتداولة، وقد بارك حملة تعميره تلك بقوله:

أبـانيَ قصْـرِ البرْكـة، شـيِّدْه، وابْنِـهِ وبلِّـغْ تحايانـا إلى القصْـرِ وابْنِـه
فـذا العـالَمُ العلْـويُّ راضٍ بنـاءَه وذا العـالَمُ السُّـفْلِي جَنَّـةُ عدْنِـه

وبعد ذلك استقل **بقرية خاصة به**، جعلها **عاصمة أهل آدب**، بمشيختيهما الروحية والسياسية، وقد **حملت اسم النبط، بالوادي الأبيض** الذي أسَّسها عنده، والذي كان **هدية** من **أولاد البح**، أحد أفخاذ **أولاد سيد حيلّ** البارزين، بقيادة زعيمهم يومئذ **سيد أحمد بن سيدي بن الوداني**، في الربع الأول من القرن

[1]- **المُسْتَمَاحُ**: طالب الشفاعة والعذر. **المُصَمَّدُ**: المقصود، وتعني الصُّلْبُ المصْمَتُ الذي ليس فيه خَوَرٌ. **نَدْبٌ**: متطوع.

العشرين، وهنا بنى داره الثانية، التي احتفت بتشييدها ابنة أخيه **خديجة "دَيَّه"** بنت **سيدي بن آدب**، فقالت:

يَـا وَادِيَّ النَّـبْطِ، لا غَبَّتْـكَ أمْطَـارُ وسـاعَدَتْكَ مـنْ الوَسْـمِيِّ أنْهَـارُ
يا وَادِيَّ النَّبْطِ لَا شَطَّتْ بِـكَ الـدَّارُ وحَلَّـكَ الخَـيْرُ إذْ حَلَّـتْ بِـكَ الـدَّارُ
دارٌ لأحْمَـدَ، لا زالَ المُنَـاخُ بِهـا كـما تُحَـطُّ ببَيْـتِ الله أوْزارُ

وقد دندت الشاعرة كثيرا حول **"النبط"** موطن أهلها الأثير، ومواسمه الجميلة، فقالت:

فللـهِ أيَّـامُ الحَـدَائِقِ والتَّمْـرِ مـن النَّـبْطِ، أيَّـامُ الـذَّبَائِحِ والنَّحْـرِ
لقـدْ خَصَّـهُ المَـوْلَى بأحْمَـدَ، شَـادَهُ وجَفَّتْ بِهِ الأقْلامُ، يا لكَ مِنْ قَصْـرِ![1]

وحتى لو غابت عنه بجسّمِها يظل شُعورها وشِعْرها يحومان حوله:

يا زائرَ "النَّبْطِ" إنْ تَلْمُـمْ بِـه سَـحَرًا سَلِّمْ، ولَا تَنْسَ حَرْفًـا فِيـهِ أوْ سَـطَرَا
قَصْـرُ المَكَـارِمِ، لا قصْـرٌ يُماثِلُـهُ أعْيَـتْ مَدَائِحُـهُ النُّثَّـارَ والشُّـعَرَا

وقد عززت الشاعرة **خديجة** وصفها التقديسي لـ **"النبط"** الذي ذكرتْه سابقا، عبر تشبيه بركة زيارته – مبالغة بلاغية– ببركة حج بيت الله الحرام، بعدما دفن فيه **الشيخ أحمد**، فقالت في رثائها له:

العِلْـمُ والحِلْـمُ والآدابُ والكـرَمُ قـد حَـلَّ بـالنَّبْطِ مـنْ أرْبابِهـا عَلَـمُ
ماتَ العَفافُ ومـاتَ الجُـودُ – أجْمَعُـهُ بمـوْتِ حَـائِزِهِ، مُـذْ حَـازَهُ السَّـنَمُ
منْ بَعْدِهِ الأرْضُ أحْنَتْ ظَهرَها ثَكَلًا واسْـتوْطنتْ بَطْنَهَـا الأقْـيَارُ والـنُّجُمُ
وأورثَ النَّـبْط منـه مَكَّـةً بَـدلًا والبيْـت أورثـه والحِـلُّ والحُـرُمُ

[1]– **غَبَّتْكَ**: زارتك في أوقات متباعدة، **الوَسْمِيِّ**: مطر الربيع الأول. **المُنَاخُ**: مبرك الإبل ومحل الإقامة.

ما بعْدَ رُزْءِ الجَليلِ المُصْطَفَى طمَعٌ بأنْ تَنَالَ البَقا منْ بَعْدِهِ نِسَمُ[1]

وقد تكرَّسَت هذه النظرة التقديسية لـ **"وادي النبط"**، أو **"قصر النبط"** كما سمته شاعرتنا آنفا، عند مختلف قُصَّاده وزُوَّاره، فيما بعد، باعتباره **حاضرة** زعامة **أهل آدب، وحضرتهم** الروحية، **ومزار** مَشْيخَتِهم، حيث نرىٰ الشاعر محمد بن الجيلي بن أحمد انبسيف، يتشوقه، ويستشرف الوصول إليه بكل لهفة:

حيِّ الديارَ التي من أشْرَفِ المُدُنِ نُشْفَى بهَا مِنْ جَمِيعِ الشوْقِ، والحَزَنِ
كنْ عاملا نحْوها بِعَيْهَمٍ أجُدٍ تطْوي الدُّنا دُونَها فِي الآلِ والحَزَنِ
تلك الديارُ التي بـ "النبْط" شيَّدَها قوْمٌ كرامٌ، عَلَوْا، من سَالفِ الزَّمَن[2]

وكذلك نجد الشاعر **الأسياد بن جار**، سليل أهل **الشيخ بن أمني** بيت العلم والفضل والصلاح، يقول:

أيا أهْلَ "وادي النَّبْطِ"، وافاكمُ وفْدُ حيارى من الأوْزار، ما عنْده رِفْدُ
مَطاياهُ- منْ تتابُعِ السيْر- قدْ وَنَتْ وأمَّا نفوسه، فذا عِنْدَها، شهْدُ
ولله منِّي الحمْدُ؛ إذْ جئتُ زائرا وما لي- وأَيْم اللهِ- في غير ذا- قَصْدُ[3]

وهنا نذكر أن **شيخ النبط**، المزور، كان هو وأهله جميعا يبادلون أهل **الشيخ ولد أمن** أقصىٰ التقدير والاحترام، **فالشيخ أحمد بن آدب**، ما زال يتردد صداه، متضرعا:

أذا المن - بابن أمن- صرِّف طخى قلبي وفرج هموما، لاتزال مع الكرب
وانصر، وأيد، واكفني كيد من شنا وحاربْ - إلهي- كلَّ من يبْتغي حرْبي

---

[1] - **السَّنَمُ**: يعني ذروة القبر وأعلاه. **ثَكَلًا**: الفجع بفقد حبيب، كفقد الأم لابنها.
[2] - **الآلِ**: السراب. **أجُد**: ناقة موثقة الخلق.
[3] - **وَنَتْ**: ضعفت وفترت وكلت وأعيت.

بصــوْمِك أيامــا هواجُرُهــا لظــى كــذا بقيــام في الــدياجر، في الــترْبِ[1]

والخلاصة – هنا – أن "رب هذا البيت"، منذ ابتنى داريِّه، وحول أخراهما – في **النبط**– مستقر **حضرته**، ورمز تمركز كل **مشيخاته** الروحية، والاجتماعية، وحتى الشعرية، **ألقى** بها **عصا التسيار**، في انتظار أن **يوارى جثمانه فيها**، ولم يعد يمارس غير **الرحلة الروحية**، التي يسميها هو **"الزيارة بالمعاني"**، حيث يؤكد ذلك لشيخه الشيخ سيدي باب، قائلا: «إني... وإنّ عاقت **العوائقُ عن القدُوم**، صَحَّحْتُ **الزيارةَ بالمَعاني** دونَ الرُّسُوم»، بل يناجي بذلك النبي الأكرم عليه الصلاة والسلام، حيث يقول له:

وإن لم– بالعيــــان– أزرك جهْــــرا فتكفينـــــي الزيـــــارة بالمعـــــاني

وحين يشتد عليه الشوق والحنين لزيارة **الحرمين الشريفين**، يتحسَّرُ قائلا:

ثَوَيْــتَ بــأرضٍ لا نجــاةَ، ولا أمْنــا لثاوٍ بها، والرَّكْبُ –وَيْحَكَ– قد أمْنَــى
وطــافَ، ولبَّــى، واسْــتتمَّ شُرُوطَــهُ ونحْنُ أسارَى الشوْقِ، بالبيْتِ، قد هِمْنَا
سكارَى، بلا صَحْوٍ، مِنَ الشوْقِ، لم نكُنْ أفَقْنَــا، وأهْــلَ الحُــبِّ قاطبــةً فُقْنَــا
هوى المُصْطفى ما إنْ وَجَــدْنَا كمِثْلِــهِ وكُــلَّ مَــرَارَاتِ الهَــوَى المُــرِّ قــد ذُقْنَــا
فيــا أيُّهــا الســاعِي، إذا جِئْــتَ أرْضَــهُ فمَــرِّغْ بهَــا خَــدًّا، ومَــرّغْ بِهَــا ذَقْنَــا[2]

ثم يلجأ إلى الحج الافتراضي، حج القلوب، حيث يقول:

إذا جئت وحدي البيت أو جئت في جمع وعاينْتُ ما بيْنَ "الحجُونِ"، إلى "جَمْعِ"
وعاينت، بالعين، "المقام"، وذا "الصَّفَا" وذاك "مِنًى"، والكلُّ يُدْرَكُ بــاللمْعِ

---

[1]– **طخى**: الوسخ والظلمة. هواجُرُها: **الهاجرة**: نصف النهار عند اشتداد الحر. **الدياجر**: جمع ديجور وهو الظلمة الشديدة.

[2]– **ثاوٍ**: مستقر بالمكان ومقيم فيه ونازل به. **أمْنَى** الحاج أتى منى. **هِمْنَا**: اشتد شغفنا حبا.

إلى "عَرَفاتٍ"، فـ "الحطيمِ"، فـ "زَمْزَمٍ" إلى غير ذا، من لـذَّةِ العـيْنِ، والسـمْعِ
جَرَى، وانهَمَى، وانْهَلَّ- مِ العَيْنِ دافِقا بسَكْبٍ- ولا عارَ- المَصونُ منَ الدمْعِ
مَنـــازِلُ فيهـــا اللهُ يـــرْحمُ خلْقَـــهُ مَنازِل كشْفِ الضُّـرّ، والجَلْبِ، والنفْـعِ[1]

[1] - **اللمْع**: البريق والضوء.

رابعـــا

ميراث الموسوعية الوهبية
الطفل المولود علَّامَة عَلَما

كما أن **آدب** أُوحِيَ بأن ابنه **الشيخ أحمد** ولد شيخا، حيث منحه هذا الاسم وهو في المهد صبيا، فقد أوحيَ كذلك بأنه ولد مستكملا للمقومات العِلْمِيَّةِ، ومُتَحَلِّيا بصِفات العَلَمِيَّةِ، وموسوما بالتفوق حتىٰ علىٰ جميع **أهل آدب**، وعلىٰ أكابر وعظماء أسلافهم الغابرين؛ حيث رقصه- في صباه- بهذه التحليات الكبيرة:

معلّمٌ.. عـــــــالمٌ.. علَّامَـةٌ.. عَلَـمٌ قد فــاقَنا.. وكـذا مَـنْ قبْلَنـا غَـبَرُوا

وهكذا أخذ هذا الفتىٰ نصيبه وافيا من ميراث **جدلية الكسب والوهب** في تكوين **أسرة أهل آدب** في العلم وغيره، بحيث لم تسجل **للشيخ أحمد** أية رحلة خارجية في طلب العلم أو التصوف، ورغم ذلك فإنه كان- حسب المقربين منه- واسع المعارف، قوي الذاكرة، حتىٰ ليوصف بأنه من **المُحَدّثين**، وقد روي عنه أنه **يحفظ بعض الكتب** بحالها مثل "**نفح الطيب** في الصلاة علىٰ النبي الحبيب"، للشيخ سيدي المختار الكنتي، وكذلك كتاب "**الشمائل المحمدية**"، وكتاب "حصن الحصين"، وكانت لديه **مكتبة كبيرة**، اجتمع له فيها من أمهات الكتب النفيسة مالم يجتمع عند أحد من معاصريه في فضائه الاجتماعي، كما أن آثاره الباقية يستفاد منها أنه ضليع في مختلف علوم عصره، متمكن من ناصية الأسلوب الأدبي الرفيع، الذي يعد بصمة فنية مميزة لنثر المدرسة الكنتية الشرقية والغربية معا، شأنه

في ذلك شأن أخيه سيدي وأبيها آدب، وجل سلالة أهل مُحمد ولد الطالب أعمر بن خيري البوسيفيين، كما أن بعض آثاره توحي بمكانته الفقهية العلمية والصوفية، ومن خلال مراسلاته التي سنعرض منها قبسات، كلما اقتضاها المقام، تتبين كذلك قدراته الكتابية النثرية، وخلفيته المعرفية، والعرفانية، والأخلاقية، والسياسية.

وفي رثاء العالم القاضي الشاعر: **محمد بن الدي** بن أحمد بن سيد الأمين بن محمد الطالب اعمر بن خيري لابن عمه: **الشيخ أحمد بن آدب** يركز على منظومة قيم المرثي المركبة، حيث يقول:

سَـلِّمْ أمـورَكَ للمُهـيْمِنِ الحَكَـمِ ... مضـتْ بَقِيَّـةُ هـذا المجْـد والكَـرَمِ
والشُّكْر، والصبْرِ، والخُلْقِ الجميلِ، على ... حُسْـنِ الوفَـاءِ بحَـقِّ النَّقْـدِ والسَّـلَمِ
والعِلْم، والحِلْمِ، والسِّرِّ المَصُونِ عَـلَى ... صْوْنِ السَّرِيرَةِ، مِـنْ زيْـغٍ، ومـنْ لَـمَمِ
والـنَّظْمِ، والنَّثْـر، فِي أعْـلَى بَلَاغِتِـهِ ... والمِـدْفَعِ، الـدَّافِعِ، المِقْـدَامِ، والقلـم[1]

ولعل خير من لُمَّ مختلفَ حقول موسوعية **الشيخ أحمد** المعرفية والعرفانية، هو صديقه الشاعر القدير: مُحمد عبد الله **بن عبيد الرحمن العلوي**، في **مرثيته** لهذا الرجل **المولود "عَلَّامَة علَمًا"**، كما تنبأ له والده بذلك، حيث يقول هذا الشاعرَ القدير:

قـد اغْمَـدَ منْـهُ المـوْتُ سـيْفَ هِدَايَـةٍ ... وَلوْ شاوَرَ الموْتُ الهُـدَى لـيْسَ يُغْمَـدُ
قد أنْصَـفَتِ العلْيَـاءُ إذْ بَعْـدَهُ غَـدَتْ ... قَرِيحَـةَ جَفْـنٍ.. لَيْلُـهَـا لـيْس يرْقـدُ
وَمَـا زَالَـتِ التَّقْـوَى ادِّكَـارًا لِـدَهْرِهِ ... مُفَجَّعَةً.. ثَكْـلَى.. تَـقُـومُ.. وَتَـقْعُدُ

[1]- زيْغ: ميل عن الحق. لَمم: صغير الذنوب.

بَكَتْــهُ المَعَــالِي.. والمَعَــانِي وبَعْــدَهُ سَيَمْكُثُ عِـلْمُ الشَّـرْعِ، وهْوَ مُسَهَّـدُ
تَــزَوَّدَ خَــيْرَ الــزَّادِ.. طُــولَ حَيَاتِــهِ وَإِنَّ التُّـقَــى خَــيْرُ الَّــذِي يُتَــزَوَّدُ
وتَــشْهَدُ أَبْوَبَــابُ المَقَامَــاتِ أَنَّــه -عَلَيْهُمْ- لهُ التَّقْدِيـمُ.. والحَالُ يَشْهَدُ
لقـد أَفَلَـتْ شَـمْسُ العُلُـومِ بِفَــقْدِهِ وفُـلَّ حُسَـامُ المَكْـرُمَــاتُ.. المُهَنَّـدُ
وحُــلَّ لِــوَاءُ الدِّيــنِ يــوْمَ وَفَــاتِه وَإِنِّــي لأَحْجُــو أَنَّــهُ لـيْسَ يُعْــقَدُ
فَيَـا وَيْـحَ مَـا سَـنَّ الجُنَيْـدُ لِحِزْبِــهِ وَمَا قدْ رَوَى أَهْلُ الحَدِيثِ.. وَأَسْـنَدَوا[1]

[1]- **مُسَهَّدُ**: أصابه أرق ولم يستطع النوم لمرض أو نحوه. **أَفَلَتْ**: غابت واستترت. **أَحْجُو**: حجا الأمر ظنه. و(السر): كتمه وأخفاه . وحجا بالمكان أقام به. وحجا: وقف. وحجا فلانا غلبه في المحاجاة.

خامســـا

سماحة الشيخ
سخاء الروح والراحة

ما تزال **الأبيات** القليلة التي **حنَّكَ** بها **آدب** ابنه **الشيخ أحمد** عند مولده، وهدهد بها مهده، هي **المفاتيح السحرية** التي اكتشفتها **لتفكيك** بناء **شخصيته، وتركيب** مقومات **مشيخاته** المتعددة الأبعاد، فكما اعتبره ولد شيخا، وأطلق الاسم على المُسَمَّى منذ الميلاد، واعتبره -كذلك- ولد "عَلَّامَة عَلَمًا" مانحا إياه الإجازة العليا، في العرفان، والمعرفة، وحتى الوجاهة، والسيادة، فإنه هنا اعتبره أيضا وُلِدَ شيْخا في سخاء الروح والراحة، بفيض عطائه، تنويرا وهداية، و"**تخْويلا**"، و"**تقْديسا**"، لكلِّ منْ سيَحُجُّ حضْرَتَه، منْ رُوَادٍ، ومُرِيدِينَ، قائلا:

إليكَ تُـضْرَبُ أكْبَـادُ العَطامِـــيسِ يَـا شَـيْخُ أحْمَـد نِـبْرَاسُ النَّبَـاريسِ
تَسْـعَى إليْـكَ رُوَادُ الحَـاجِ مِـنْ بُعُـدٍ فَيُفْلِحُـــونَ.. بتخْويـلٍ.. وتقْـدِيسِ

كما اعْتَبَرَهُ **كُنْهَ الفخْر** ومعْناه، الذي لا يحاكي سخاءَه - بكل المعاني والمعالي- فيضُ البحور الزاخرة، ولا هطولُ الغيوث الماطرة، حتى أنه شبَّهَ - ضمْنيا- يُمْنَ جودِ يَمِينِهِ، بعصى موسى في السخاء، بحيث لا تلامس صخور البخلاء والجهلاء، إلا وتفجرت أكف أولئك بالعطايا والهدايا، وعقول أولئك بفيوض العلوم والفُهوم، حيث يقول:

الشيخ أحمـدُ.. فخْـرٌ.. حـين يُفْتَخَـرُ مـــا إنْ يُشـــابِهُه بحْـــرٌ.. ولا مَطـــرُ

بجُودٍ يُمْنَـاهُ.. جـادَ البـاخِلُونَ.. كـما - مِنْ راحتَيْهِ- بُحُـورُ العِلْـمِ تَنْفَجِـرُ
معلّـمٌ.. عـالِمٌ.. علَّامَـةٌ.. عَلَـمٌ قد فـاقَنا.. وكـذا مَـنْ قبْلَنـا غَـبَرُوا.

وقد وجدنا نصا يتيما **للشيخ أحمد** -لا ثاني له- يفتخر فيه - ولو على خجل- بكرمه في الشدة والرخاء، ربما تصديقا لبصيرة والده فيه، إذ يخاطب "ميَّه"، وليْلَاه:

سَـلِي - مَـيّ- السّـنِينَ الغُـبْرَ عنِّـي لـدَى عَـضِّ السِّـنِينَ بِكُـلِّ سِـنِّ
سَلِي الأمْـوالَ تُفْصِـح - وَيْـكِ- أنِّي أهنْـتُ خِيَارَهـا، مَـا إنْ تُهِنِّـي
سَـلِي الأشْـعارَ، والسُّـمَّارَ وهْنـا سَلِي "تَنْدَيْنَ"- مَيُّ- سَـلِي "تَـدَنِّ"
سَـلِي يُخْـبِرْكِ عَنِّـي الكُـلُّ كُـلًّا بـذاكَ، وغـيْرَ ذاكَ فـلَا تَظُنَّـي
فـثَمَّ البُـدْنُ تشْـهَدُ لِي، وضـيْفِي ويَشْـهَدُ لِي العَـبَنُّ، مَـعَ الهَـبَنِّ

ولكيْ نتأكَّدَ- نَصِيًّا- منْ أنَّ فِرَاسَة "آدبَّ" لمْ تَخِبْ في ابْنِه، وأن **فخر الشيخ أحمد** ليس مجرد ادعاء وتفاخر، سنسْتحْضِرُ شاهِدا آخر، هو الشاعرُ المفلق: محمد عبد الله **بن عبيد الرحمن العلوي**، صديقَه الذي رَثَى فيهِ كلَّ مَكْرُمَةٍ وفَضِيلةٍ:

فشلَّتْ يَدُ المَوْت.. التِي مَـدَّهَـا.. إلى تَقِـيٍّ.. نَـقِيٍّ.. لا تُضَـمُّ لَـهُ يَـدُ
مَـضَى منْه مِتْـلافٌ.. فَـرَائِصُ مَالِـه -مَدَى الدَّهْرِ- مِنْ خوْفِ التفَرُّقِ- تَرْعُدُ
وغَيْثٌ عَلَى أهْلِ الحَـوَائِج.. قـدْ همَـى ولكنَّـه يهْـمِي.. ولمْ يَـكُ يُـرْعِدُ
فَتًى.. قدْ بَكَـتْه المَكْرُماتُ.. ولمْ يَكُـنْ بَكَـاهُ طَريـفٌ.. يَـوْمَ بَـانَ.. ومُتْلَـدُ
هُمَامٌ.. إذا مَا قَـالَ وَاصِـفُ فَضْلِـه: مُضَاهِـيهِ.. لا يُلْـقى.. فلـيْسَ يُفَنَّـدُ
هُمَـامٌ.. بِـهِ شَـمْلُ الفَخَـارِ.. مُجَمَّـعٌ ولكـنْ.. بِـهِ شـمْلُ الثَّـرَاءِ.. مُبَـدَّدُ
فيَـا لهْفَ أضْيَافِ الشِّتَاءِ.. لقـدْ عـلا -عَلَى مُكْرِمِ الأضْيَافِ- تُرْبٌ.. مُلَبَّـدُ!

ومَنْ لِليتامَى.. والأيَامَى.. يُنِيلُهمْ - إذَا اسْترْفَدُوا مِنْ رِفْدِهِ- مَا تَعَوَّدوا؟[1]

وعلى هذه الشهادة بكرم **الشيخ أحمد** وسخائه، يتواطأ مادحوه ومؤَبِّنُوه، فهذا القاضي العالم **عبد الرحمن بن بلَّال الجمَلِّي**، يقول في رثائه:

لعمرك إنَّ مَنْ تُخْطِي المَنايا لسَوْفَ تَصيدُه بيْنَ الحَوَايا
يبيتُ المرْءُ يذهبُ في عَمَاهُ إذا ما منْهُ أدْوِرَةٌ خَلايا
فلو أنَّ المَنِيةَ بالمعالي عن الأشْراف تُدفَعُ، والرَّزَايا
لكانَ الشيْخُ أحْمَد ذا حياةٍ مُخَلَّدَةٍ، إلى بعْثِ البَرَايا
إمَامٌ، كانَ للحاجاتِ مَأْوَى إليهِ الجُرْدُ تُعْمَلُ والمَطَايَا
فكمْ منْ مُهْتَدٍ أهْدَى سريعًا وكمْ من مُعْتَدٍ أوْلَى بَلايا!
وكمْ في الغيْب أخْبَرَ في صِبَاهُ وآثرَ بالحَوائجِ و"الغَوَايا"!
وكمْ -من غيْرِ قُلٍّ- باتَ يدْعُو خَمِيصَ البَطْنِ، أضْلُعُه حَنَايَا!
تَخافُ العُرْبُ منْهُ، معَ النّصارَى وتَبْعَثُ من مَخافَتِهِ الهَدَايا
تَزَوَّدَ- مِنْ دُنَاهُ- بِزادِ تقْوى ومَا عَمِلَ الجَرَائمَ والخَطايا
عفَا عنْهُ المُهيْمِنُ وارْتَضاهُ وأضْحَكَ -عِنْدَهُ- مِنْهُ- الثَّنَايا
وبَارَكَ في الخَليفةِ منْ بَنِيه وأوْرَثه الطبائعَ والسَّجَايَا
وآزرَه، وإخْوَتَه، بنصْرٍ وعِزٍّ، فِي الضَّحَايَا والعَشَايَا
على طهَ الأمينِ، وآلِ طه ومَنْ يُوصِي به أزْكى التَّحايا[2]

---

[1]- **مِئْلافٌ المال**: الكثير البذل. **همَى**: انصب وسال. **اسْترْفَدُوا**: طلبوا المعونة والعطاء. **رِفْدِهِ**: عطائه وصلته.

[2]- **الحَوَايا**: حوايا البطن: أمعاؤه وأحشاؤه. **أدْوِرَةٌ**: جمع دار. **الجُرْدُ**: جمع الأجرد: الفرس الجميل القوي، **المَطَايَا**: جمع مطية: من الدواب ما يركب كالبعير والناقة وتستعمل للمذكر والمؤنث. **آزرَه**: سانده وقواه وعززه.

وهناك شاعر آخر، يتخلَّصُ إلى **مدح الشيخ أحمد**، بكرمه المعهود، وجوده المشهود:

لُيُـــيْلاتِ الصـــبَا، عـــودِي إلَيْنـــا ... وما قـوْلُ الشَّـجِيِّ: -لُـنَّ - عُـودِي
سـقاكِ- وإنْ أثـرْتِ رسـيسَ وجْـدٍ ... إلى الأحْشَـــاءِ- مُنْهَمِـــرُ السُّـــعُودِ
وأحَشَـــائِي يُجِـــدُّ لهـــا اشـــتياقا ... وقـــوفُ الصـــبِّ بالطلـــلِ الجَديـــد
شـــفَاها مـــن تَبارِحِهَـــا هُمَـــامٌ ... يـــواسِي بـــالطريفِ، وبالتَّلِيـــدِ
يَـــرَى صِـــلَةَ الوُفـــودِ عليْـــه حَـــتْما ... إذا مـــا ضـــاقَ مُـــزْدَحَمُ الوُفـــودِ
وكـــم يَـــدْعُو لنـــا الجَفَـــلَى، ويُهْـــدِي ... نـــــداهُ للقِريـــــبِ، وللبَعيـــــدِ
مَتَـــى تَلْمُـــمْ بـــه لِطِـــلابِ حـــاجٍ ... تَنَـــلْ مـــا شِـــئْتَ مـــنْ كـــرَمٍ وجـــودِ
ألا يـــا شـــيْخُ أحْمَـــدَ، هـــاك، خُـــذْها ... لآلـــــئَ نظْـــــم قَافِيـــــةٍ شَرُودِ[1]

وعلى هذا يتواتر مادحوه بإجماع، فهذا **محمد محمود** بن سيدنا، الملقب **"أفَّاف"**، يقول إنه لم يُسَلِّه عن لُيْلاه إلا

الشـــيَّخَ أحْمَـــدَ عنْهَـــا، مَـــنْ مَحاســـنُه ... عَمَّتْ جميعَ الـوَرى فضْـلا وإحْسـانا
منْ كانَ أحْيـا المَكَـارمَ التِـي هلكـتْ ... بَعْـدَ اقتنـاصِ شريـدِ المَجْـدِ أزْمانـا
إنْسان عيْن الوَرى، في الفضْـل قاطبـةً ... ما إنْ تَرَى مِثْلَهُ- في الفضْـلِ- إنْسـانا
فهْـو الكَـريمُ الـذي تُرْجَـى نَوافِلُـه ... هـو الجَـوادُ الـذي بالمَجْـدِ قـد بَانـا
غيْـث العِبَـادِ، إذا مـا الغيْـثُ خَـانَهُمُ ... غوْثُ الأرَامِلِ، جادَ الغيْثُ، أوْ خانا[2]

---

[1]- **لُيُيْلات**: جمع ليلة هو تصغير ليلة للتحبيب. **رسيس** الشيء: بقيته وأثره. **الصبِّ**: المشتاق العاشق. **الجَفَلَى**: الدعوة العامة للناس. **تَبارِحِهَا**: آلامها وشدتها. **نداهُ**: الندى: الجود والكرم. **طِلاب الحاجة**: مطالبتها.

[2]- **الوَرى**: الخلق من البشر. **قاطبةً**: كافة.

وعندما يستشعر أحد الشعراء الرغبة الملحة **في شرب الشاي النادر** يومها بين العامة، وحتى الخاصة، **لا تتجه بوصلة طلبه إلا إلى الشيخ أحمد بن آدب**، فيقول شاكيا إليه حالهم:

مُرُوا مَنْ يَجِي- نَحْوَ المَشايخ- أنْ يجِي ... بفرْحَةِ كاساتٍ، وتطْلِيع "مغْـرَجِ"
و"تزْييـفِ بَـرَّادِ"، وتكْسـير سُـكَّرٍ ... وأمْـرِ مُقـيمٍ- للمُنـاوِلِ- أنْ يجِـي
فإنَّـا بنَـتْ فينـا الخـدَرْنَقُ بُرْهـة ... ولـيس لهـا عـمَّا بنـتْ مـن مُهـيِّجِ
سوى الشيخ نجـل الشـيخ آدب إنـه ... إذا هـمَّ بـالمَعْروفِ لمْ يـتَلجْلَجِ
حيِيٌّ، سخِيُّ النفْس، والكـفِّ، أروعٌ ... تقِـيٌّ، نقِـيُّ العـرْضِ، غـيرَ مُـزَلَّجِ
مُنَـوّرُ مِـرْآةِ الفُـؤادِ، مُوَفَّـقٌ ... يُنِيلُ الـذي قـد جـاء ماجـاءَ يَرْتَجِـي
فـو الله مـا أنْسـى كؤوسًـا شَـهيةً ... يُجَلِّي شذاها الشَّجْوَ عن كلِّ مَنْ يَجِـي
حبَـاكَ بهـا مـنْ قبْـلُ ذو البَيْـتِ، إنَّـه ... حباكَ بها-معْ غيْرِها- قبْلَ ذَا المَجِـي[1]

وأخيرا نراه يوصي بمذهب البذل والعطاء نفسه ومُرِيدِيه، مستحضرا قول **شيخ** شيوخه: **عبد القادر الجيلي**، حول ضرورة **جعْل المال** ونشَبَ الدنْيا **في اليَد، لا في القلْب**، حيث يقول، في رسالة إلى تلميذه:

«**وإنَّه، بحمْدِ الله إليْكَ**، الذي لا إله إلا هو، **والوَصِية لنفْسي ولكَ بتقْوَى** الله العظيم، و**عدَم الرُّكُونِ إلى الدنْيا** والمَيْلِ إليْها، وتَوَقِّي حَبَائِلها التي تصْطادُ بها مَنْ مَرَّ عليْها، إذ هِي أسْحَرُ منْ "**هَارُوت**" و"**ماروت**"، وليس لصاحِبها المُقْبِلِ عليْها إلا أنْ يَكونَ لا يَمُوتُ، **واسْتعِذْ** منْ **شرِّها** بالله ربِّكَ، **وما وَجَدْتَ مِنْهَا فاجْعَلْهُ بيدِكَ، وأخْرجْه من قلْبِكَ**، إذْ **بُعْدُ** مَا بيْن **الدنْيا** و**الآخِرة**، بُعْدُ ما بيْن **المَشْرق** و**المَغْرب، ولا يَصِحُّ إمْساكُها لسَالكِ طريقِ الآخِرَة**، إلا بعُد القدْرة على إمْسَاكها فِي يَدِه، وإخْرَاجِها منْ قلْبِه، فإذا بَلَغَ ذلك، فلَهُ أنْ يُمْسِكَها، وَيفْعَلَ فيها ما يشاءُ،

[1]- **الخدَرْنَقُ**: العنكبوت والكبير منها. **مُزَلَّج**: من لا خير فيه ولا غناء عنده. **حبَاكَ**: أعطاك ووهبك ومنحك. **والحبا**: السحاب المتراكم القريب من الأرض.

ويتصرَّفَ فيها كيْف شاءَ؛ لكوْنها صارتْ لا لِمُباهاةٍ، ولا تكاثُرٍ، ولا تفاخُرٍ، بل لعِفَّةِ النَّفْسِ عنِ السُّؤال، والنفقَةِ علَى العِيال، وتأديةِ ما فرَضَ اللهُ فيها من الحُقوق».

سادســـا

جامع المشيختين
شيخ الدين، وشيخ الدنيا

كلما حاولنا تلمس أي جانب من شخصية **الشيخ أحمد**، لا بد- كما قلنا سابقا- من استصحاب المفاتيح الدقيقة، التي زودنا بها والده **آدب**، واكتشفنا طاقتها العجيبة في **أبياته** القليلة، التي هدهد بها **ابنه** هذا، فتلك الومضات الشعرية المختصرة، الخفيفة على اللسان، ثقيلة في الميزان، لأنها تكتنز أسرار **الطفل الذي ولد شيخا**، بكل معنى الكلمة، **"تضرب إليه أكباد الإبل"**، وتحج إليه **"رواد جميع الحاجات"** من كل فج عميق، باعتباره **"نبراس النباريس"**، المستضاء بأنواره، المهتدى بهديه، **المضمون لوفود رُوَادِ حضْرته الفلاح** في مقاصدهم المادية والروحية، الدنيوية والدينية، إذ سيحظون - حتما-**"بتخويل وتقديس"**، فهذا الطفل المُهَدْهَد في مهده صيبا، كان والده يراه- باعتبار ما سيكون، حسب بطاقة الميلاد العظيمة، التي سجل له فيها هويته، باسمه: **"الشيخ أحمد"**، الذي لا يعنى - في مُسَمَّاهُ - **المشيخة والأحمدية** فقط، وكفى بهما، بقدر ما يعنى **الشيخ أحمد "الفَخْر"** كله، **"حين يُفْتَخَرُ"**، وهو **حقيقة السخاء**، الذي **لا يضاهيه البحر** الهادر، ولا **الغيث الماطر**، حتى أن يمينه - مثل عصا موسى- لو لامستْ صخْرة أي بخيل أو جاهل، لانبجس كف الأول بالعطاء طوفانا، وعقل الآخر بمدد العلوم معرفة وعرفانا، فهو كما يلخص والده آدب، بقية أوصافه:

معلّـمٌ.. عـــالمٌ.. علَّامَـةٌ.. عَلَـمٌ قد فـاقَنا.. وكـذا مَـنْ قبْلَنـا غَـبَرُوا.

كل هذه الأبعاد المركبة لشخصية **الشيخ أحمد** يختزلها والِدُه عبد القادر **آدب** بن سيد الأمين، في خمسة أبيات: ثنائية، وثلاثية، تنبأت بما سيكونُه هذا الوليد، إذ سرعان ما تحققت فراسة الوالد وحدْسه، فبلغ الشيخ أحمد كل هذه المقامات الروحية، والاجتماعية، والمعرفية، والعرفانية، بالطفرة ذاتها التي وصل بها إليها كل من أبيه **آدب**، وأخيه الأكبر **سيدي**، حيث **تُفَعَّلُ** آليات **الوهْب** والفتْح أكثر من آليات **الكسْب**، والكدِّ، حسب السردية المَناقبية المؤسسة **لمشيخة آل آدب**، حيث لم تسجل له – ولا لهما– رحلة في طلب العلم بالمحاظر الشنقيطية التقليدية، ولا في الخدمة الصوفية إلى حضرات التربية الروحية أيضا؛ حيث تقول الرواية المحلية المأثورة إن **"آدبَّ" (عبد القادر)** الشقيق الأصْغر لأبناء **سيد الأمين بن محمد بن الطالب اعمر بن خيري**، كان أخوه الأكبر: **مْحمد "ويقي"** بن سيد الأمين، يقول لشيْخِيْهِ في الحضْرة المُخْتَارية الكنْتية بـ **"أزواد"**، إنَّه لا يدْرسُ العلومَ، ولا التربيةَ الصُّوفيةَ، لنفْسه، بقدر ما يخدمُ بالنِّيَابةِ عن شقيقِه الأصْغر الذي بقي وحيدا يعْتنِي بعائلتهم، في الوقْتِ الذي تفرَّقَ من حوْلِه، كلُّ أقاربه– طلبًا للمَعرفةِ والعِرْفان– باتجاه حضرة أهْل الشيخ سيدي المختار في الشرْق، أو فيما بعد إلى حضرة أهْل الشيخ سيدي في الغرْب، ومهما كانت صعوبة تصديق هذا المنطق في عصرنا الراهن، ومهما يكن استعداد ذهنية المتلقي المعاصر لإنكاره، فهم يجزمون بأن الله قد اسْتجابَ لرغْبة **مْحمد "ويْقِي"** في أخِيه **آدبَّ**؛ حيث ورِثَ– منْ لَدُنْهُ– سِرَّ أسْرتِه العِلْمِيّ والرُّوحِيّ والشِّعْريّ، فكسَفَتْ شُهْرتُه إشْعاعَ إخْوَتِه وأبِيه وأعْمامه العُلَمَاء الشُّعَراء، رغم أنه قد تَرَكَه أبوه، وهو أصغر أبنائه، في بيئة حرْبية، ذاتِ ظروف حياتية صعْبة، غيْر مُوَاتِية لطلَبِ العِلْم، وهذا ما يَسْتَحْضِرُهُ ابْنُه سيدي محمد **"سِيدِيَّ"** رِوَايَةً عنْ والِدِه، حينَ يَرُدُّ علَى أخِيهِ:**"محمد لْحوار"**، عنْدما اسْتَأذَنَه في الرحْلة لطلَبِ العِلْم، فقال له، في تَضاعيفِ رِسالتِه الجَوابِية: **"فتْح القهَّار** في الرَّدِّ على محمد لحْوار":

«**وأمَّا ما ذكرتَ** من الْتزامنا الرحلة في طَلَب العِلْم، خلَفا لسَلَفٍ، فلا نُطيلُ فيه، ولكن:

خـذْ مـا تـراهُ ودعْ شـيْئا سـمعْتَ بـه في طلْعَةِ البدْر ما يُغْنيـكَ عـن زُحَـلِ

إذْ قد **أدْركْت والدَنا** رضي الله عنه، فقد حدَّثَني رضْوانُ الله عليْه غَيْرَ ما مرَّة، وأنتَ شاهدٌ، أنَّه نَشأ فيما ينْشأ فيه مِثْلُه من أطفال أهْل الحرْب، من مُعاناةِ المَعِيشةِ وكدِّ العِيال، في شظَفِ العيْش، وشُغْلِ البَال، مُوَافَقَةَ مَسِيرِ إخْوَتِه طَلَبَةً، فمَا زالَ كذلك حتىٰ بَلَغَ، وهو علىٰ تلك الحالة، لمْ يكتسبْ عِلْمًا، ولمْ يُطالعْ...قال: بلغت مبلغ الرجال، وليس لي إلا التمسك بآية: ﴿**واتقوا الله ويعلمكم الله**﴾، واعتماد حديث: «من عَمِلَ بما عَلِمَ أوْرَثهُ الله عِلْمَ ما لمْ يعلم»"، مع علو الهمة ونفوذ العزْمة...

وقال رضي الله عنه وأرضاه، وجعل نصيبنا منه أوفر نصيب وأوفاه، وذلك من صدق التوجه، مع العمل بمقتضىٰ العلم، كائنا ما كان، كما قيل:

لكـــنَّ سِرَّ الله في صـــدْق الطلـــبْ كـمْ رِيء في أصْـحابه مَـن العَجَـبْ

وقال: فلما توفيت الوالدة -رحمها الله- أعملتُ الرِّحْلة إلىٰ الشيْخ الكامل: الشيخ سيدي، ما شاء الله، فأجازني، وشيَّعني إلىٰ الأهل».

ورغم أن **آدب** لمْ تكنْ له رِحْلَةٌ في طلَبِ العِلْم، غيْر رِحْلتِه هذه إلىٰ حضْرَةِ الشيْخ سيدي، والتي لمْ تتعد حوالي ستة أشهر فقط، فقد تكللت بإجازته، 1265هـ، **(في الأوراد القادرية، والأحزاب والتوجيهات المحمدية والمختارية، أخذا وعطاءً وروايةً وإرْواءً، بالشرْط المَألوف والسَّنَنِ المَعْروف خَلَفًا عن سَلَفٍ...**

حيث يقول: «**وأجزتُه أيْضا فِيما تحَصَّلْتْ وتتحصل فيه أهْليَتُه من العلوم الشرْعية أصُولِها وفرُوعِها ومَقاصِدِها ووسائِلِها على نحْوِ مَا أذِنَ لِي وأجازَنِي فيهَا شيْخُنا الخليفةُ سيدي مُحمد...**».

ونظرا لأنَّ مثْلَ هذه الإجازاتِ لمْ يكنْ المَشايخُ العُلماءُ الأتْقياءُ يمْنحونَها جُزافا، كما تُمْنَحُ اليوْمَ بعض الشَّهَادَاتِ العُليا، فقدْ أوْضَحَ الشيخُ سيديَّ المُرْتَكَزَاتِ التي أسَّسَ عليْها حُكْمَه بالأهْلِيَّةِ المُزْدَوجَةِ للمُرِيدِ المُجَازِ في المَعَارِفِ الصُّوفية، والعُلوم الشرْعِية مُطلقا:

«وإنَّما أذنتُ له وأجزْتُ له؛ لِمَا لاحَ لِي فيه من لَوائحِ الصلاحِية للتقديم، ولِمَا شمَمْتُ فيه من روائحِ الخُصوصية المُمْزُوجَةِ بالصِّدْق والتسْلِيم».

وعلى **المنهج** درج الابن الأكبر: **سيدي**؛ فقد قلَّدَ والدَه وشيخَه الوحيد: **آدب**، في الاعتقاد بجدوائية المدد الوهْبي، أكثر من الكد الكسْبي، متبعا إياه في عدم الرحلة الخارجية لطلب المعرفة والعرفان، والاكتفاء الذاتي بقاعدتي: الآية الكريمة: ﴿**واتَّقوا اللهَ ويعلمكم الله**﴾، والأثر«مَنْ عَمِلَ بما عَلِمَ أوْرَثَهُ اللهُ عِلمَ مَالَمْ يَعْلَمْ»، إضافة إلى رضى والديه، ففي إطار رده على أخيه **محمد لحوار**، الراغب في الرحلة طلبا للعلم، يحاول ثنيه عن ذلك بضرب المثل له **بوالدهم آدب**، حسب ما تقدم، ثم بتقديم **نفسه له مثلا آخر**، يمكن أن يعتدَّ به، فيقول:«**أما أنا** فليس الخبر كالعيان، وليس الصادق كمن حدث ببهتان، فقد شاهدتَ موارد أمري ومصادره، وذلك أني نشأتُ زمن الصبوة راغبا في التغرُّب، والابتعاد في التطلُّب، فجعل والدنا رضي الله عنه يسوسني بسياسة عجيبة، ويَعِدُني بالمساعدة على ذلك، وينشر لي أحوال طلبةِ العلم في جميع المسالك، مع اطِّرَاحِي بين يديه،.... والعمل بمقتضى ما يشير به ويقضيه، حتى أطلعني الله من فضله عليه، وقصرتُ همَّتي على الشوق إلى ما لديه من علم، فوصلت إلى ما إليه من فضل الله وصلت، مما لا أنكره امتثالا لأمر الله،... ولا أذكره بين يدي من قلد هواه، وتولاه، "فظُنَّ خيْرا ولا تَسْأَلْ عنِ الخَبَر"[1]، قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون، سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها».

[1]- شطر بيت لعبد الله بن المعتز، أوله: **قد كان ما كان مما لست أذكره**.....

وهكذا لم **تنخرم هذه السنة في الشيخ أحمد بن آدب**، حيث وصل إلى ما إليه وصل بطريقة أخيه وأبيه معا.

ويبدو أنه بعد **وهبه الشامل الموعود به** من طرف **والده آدب**- حسب ما سبقت إليه الإشارة من هدهداته إياه في صباه- قد كسب ما كسب في كنف **أبويه** العالمين العارفين معا: **آدب والسعيدة** بنت ألمين الجيد، ثم أضاف إلى ذلك ما اكتسبه من **أخويه** العالمين العارفين أيضا: **سيدي ومحمد لحوار**، وخصوصا **سيدي**، الذي كان **شيخ الأسرة** بعد الوالد **آدب**، فقد بدأ يسوس أخاه الأكثر تدليلا بينهم، حتى شكى إليه بعْضَ جُموح نفْسه، إلى شهَواتِها، فخاطب أخاه الأكبَر الذي يراه شيخه الأوحد:

يَعُودُ السلامُ، الحافِلُ، الأوْفَرُ، الأسْنى ... إلَى سَيِّدِي "سِيدِيَّ" وَالِدِيَ الأحْنى
ثِمَالِ اليَتَامَى، بَهْجَةِ العصْرِ، نُورِه ... وطلَّاعِ تلِّ المَجْدِ.. وهْوَ له مَغْنَى
وشَافِي مُرِيدٍ، مِنْ مَرِيد، بنظْرةٍ ... ومَرْمَى عِصِيِّ السيْرِ الأقْصَى أوِ الأدْنَى
بَأنِّي لمْ أرْدُدْ.. لِنَفْسِيَ.. عنْ هوًى ... ولمْ- سَيِّدِي- يَرْدُدْ لَهَا رَبُّها الأغنَى
وأنتمْ.. إذا تاقَتْ تَرُومُونَ ردَّهَا[1] ... وقوْلُكُمُ هَذَا كـ"الأعْوَرِ قدْ جُنَّا"![2]

---

[1]- **الأحْنى**: الأرأف والأعطف. **الثمال**: الملجأ والغياث. **المَغْنَى**: المنزل الذي غني به أهله. **تاقَتْ**: اشتاقت.

[2]- لقد استحضر هنا قصة رجل من تميم كان أسيرا عند قوم، فسمعهم يتحدثون عن عزمهم على غزو قومه، فطلب منهم السماح له بإرسال رسالة إلى أهله، فاشترطوا لذلك أن يسمعوا الرسالة، حتى يتأكدوا من خلو محتواها من أي إنذار، فكان من ضمن وصاياه لهم:

"... وأن يعروا **ناقتي الحمراء** فقد أطالوا ركوبها ويركبوا **جملي الأصهب**... فلما وقفوا على الكلام.. قالوا جن الأعور بعدنا إذ لم نعرف له ناقة ولا جملا" .... ثم دعوا أحد حكمائهم " فلما قصوا عليه القول قال أنذركم... والناقة **الحمراء الدهناء**، والجمل الأصهب **الصمان**، يقول اعدلوا عن السهل إلى الجبل..." انظر: داود بن عمر الأنطاكي: **تزيين الأسواق في أخبار العشاق**، ص191.

وقد كانت **الوصفة الشافية قصيدة "سيدي"**، التي فعلتْ فعْلَها الخَارِق، فِي **نفْسِيةِ الشيخ أحمد**، وفِي سُلوكِه، حيث سُمِّيَتْ هذهِ القصيدةُ فِي أوْسَاطِ تَدَاوُلِهَا: بـ **"التربية"**:

عَتَبْتُكَ، فاهْنأ، لا عِتَـابَ.. ألا فاهْـنا ... ومأْتاكَ - أيًّا كانَ- عنْدي هو الأهْنَـا
أُحِبُّ الـــذِي أحْبَبْـتَ.. غَـيْرَ مُحَـرَّمٍ ... وأبغضُ ما أبْغضتَ بالحِسِّ، والمَعْنَـى
وأبـذلُ.. مَـالِي.. فِي رضـاكَ.. وكلَّـما ... حَمَيْتكَ.. لمْ أمْنَعْهُ حِرْصًا.. ولا ضَـنَّا
ولكن، لأمْـرٍ.. لمْ أُكَلَّـفْ.. بنـشْـرِه ... مَغَبَّـــتُه محْمُـــودَةٌ.. لَـــنِ اسْـــتَأْنَى
وما خِلْتُ تصْـــرِيفي لأمْـرٍ.. مُخَالِفًـا ... هوَاكَ.. كمَا عنْدِي هَوَاكَ مُنًى حُسْـنَى
وحَاشَى.. ويَأْبَى اللهُ.. تقليدَكَ الهَوَى ... وطَوْعَكَ قِتْلا، مُفْسِدًا، غيْر أنْ يُثْنَـى
فرُضْها، وذُدْها عنْ هواهـا.. وزَكِّهـا ... ولا تُعْطِها نَيْلًا.. تَنَلْ مَـا بـه تُعْنَـى!
لأنَّ بظَلْفِ النفْسِ.. عـن شهواتِـــها ... يَنالُ الفَتى.. المَأْمُولَ - فِي الله- والأَمْنا
ولا عِـــزَّ.. إلا بَعْـــدَ إذْلَالَ مُهْجَـــةٍ ... ولا رَاحَةٌ- دُونَ العَنَا- ثَمْرُها.. يُجْنَى
فتلْكَ سَبـيلُ الحـق.. قامـتْ بقوْمِهـا ... ومَـنْ لمْ يُقِمْهـا.. لا يُقِـيمُ لَـهُ وزْنـا
ومـا حـازَ قَصْـبَ السَّـبْقِ إلا مُشَـمِّرٌ ... قدَ آثرَ.. ما يبْـقَى.. على كل ما يَفْنَى
وأَلْقَى حُظوظَ الـنَّفسِ، ظِهْرِيـةً.. ولمْ ... يعرِّجْ على كـأسٍ.. سقتْه.. له.. وهْنا
وضـمَّرَ طِـرْفَ العـزْم، لمْ يـثْنِ طَرْفَـه ... إلَى غيْرِ مَطْلُوبٍ.. أمَامَ.. لَهَا اسْـتدْنى
وجَدّ سَبيلَ القَوْمِ.. لمْ يـأْلُ.. قاطِعـا ... صَحَاصِحَها، والمَهْمَهَ القَفْرَ، والدَّهْـنا
تلاشَـى.. لدَيْهِ الكوْنُ.. ينْحُو مكوِّنـا ... فقدْ هَجَرَ الأفْراحَ، واسْتَصْحَبَ الحُزْنا
ولمْ يتَّخِـذْ - غـيْرَ المُهَـيْمِنِ- صـاحِبًا ... ولا دُونَ ما يخْشَى- سِوَى ذِكْرِهِ- حِصْنا
هنالكَ.. يَحْـظَى.. بالـذي هُـوَ آمِـلٌ ... ويَصْـحَبُه التَّيْسِـيرُ.. فِـيمَا لـه عنَّـا
وتصْـحَبُه - منْـهُ- العِنَـايَةُ.. كائِنـا ... له- في المَرَامِ- العيْنَ، واليَـدَ، والأُذْنـا
وتُطْوَى لـه قُصْـوَى المَفَـاوِزِ.. مُلْقِيًـا ... عَصَا سَيْـرِهِ.. قد بُوِّئَ المَقْعَدَ الأَسْـنَى

على نحْوِ هذا، فانْحُ، إنْ كنْتَ ناحِيًا ولا تَرَ شأْنًا.. غيْرَ مَا شَأْنُهُ شأْنا
لتبلغَ أقْصَى ما تُريدُ.. وتقْتَفي ورَاثَةَ مَنْ أغْنَى مُحِبَّيهِ.. مَنْ أقْنى
عليْه صَلَاتِي.. نَحْوَ ذنْبٍ.. بتوْبَةٍ ومَا زهْزَهَتْ أرْوَاحُ شَامِيةٍ غُصْنَا[1]

وهكذا **استتب الشيخ أحمد** – بعْدَ هذه القَصِيدة– على طريق **"القوم"**، مرتقيا **"في مَدَارج السالكين"**، حتى أصبح وريث أخيه **"سيديّ"**، في مشيختي **العمامة، والزعامة**، وصار **"شيخ المشايخ"** كما وَصَفَهُ سيديّ نفسه في شعر سابق.

وكما أن **آدب** عزز **وهْبه** المأثور، برحلة كسب قصيرة لنيل مزيد من **"الوهْب"** عن طريق حضرة **الشيخ سيدي**، فإن **ابنه الشيخ** أحمد، سعى لتعزيز ما ناله وهبا، برحلة مماثلة لرحلة والده **آدب**، إلى أهل **الشيخ سيدي**، لكنه جعلها **"زيارة بالمعاني** دون الرسوم"، حيث عاقتْه الظروف عن القدوم، فكتب إلى **الشيخ سيدي باب** مستوْهبا منه **الجمْعَ بيْن المشيخات** كلها، **مثْنى، وثُلاثَ، ورُباعَ**، حسب ما يقتضيه تنوع المثنيات، كاتبا:

«**أما بعْد**، سَيِّدي، لازالت تهشُّ إليكمْ النِّعَمُ الجَليلة ويبشُّ ويَتَنَسَّمُ نحْوكمْ نسيمُ السعْد ويتجسم، ويتوسَّمُ وجُوهكمْ ناظرُ الودِّ ويتبسَّم، **فاعلم، سَيِّدي** – وإنْ كنْتَ الغَنِيَّ عن الإعلام، بما أطلعكَ الله عليه من خفايا الأنام– أنِّي وإنْ عاقت العوائقُ عن القدُوم، صَحَّحْتُ **الزيارةَ بالمَعاني** دونَ الرُّسُوم، ومن أجْل ذلك **أطلُب** منكمْ **الجمْع بيْن الضّرَّتيْن**، والقِرَانَ بيْنَ **الحَسَنَتَيْن**، والحُصولَ على كِلْتا

[1]– **رُضْها**: من راض يروض المهر– طوعها وعلمها السير والسباق. وراض النفس بالتقوي طوعها عليها. **ذُدْها**: من ذاد يذود: حمى ودافع وطرد. **ظلف** النفس: زجرها وقمعها. **آثَرَ**: فضل واختار. **ظِهْرِية**: تجعلها بظهر أي تنساها. **عرِّج**: مال. وعرج بالمكان نزل به، وتوقف عنده. **الطِّرف**: **الجواد** الكريم الأصيل. **يـأْلُ**: يقصر ويفتر **صَحَاصِح**: أراض مستوية جرداء. **المَهْمَه**: المفازة البعيدة والبلد المقفر. **الدَّهْنا**: صحراء واسعة في الجزيرة العربية. **المَفَاوِز**: الصحارى والأراضي المقفرة. **بُوِّئَ**: أنزل مكانا عليا. **أقْنى** أرضى. **زهْزَهَتْ**: حركت.

السعادَتَيْن، والفوْزَ بكلا **الفَخْريْن والعِزَّتَيْن**، ما **لا يُوصلُ إليه**، ولا يُحَصل عليه، إلا **بمحْض فضْلِ** الله وعِنايَته، **وبركة التعلق بخاصَّتِه** من أهْل وُدِّهِ وولايَتِه.

ثم ليكنْ في كريم عِلْمِكَ أيها الأكْرمُ الأرْحم، الأرفق، الأرْأف الأعطف الأشفق، **أني طرحتُ نفْسي بين يديْكَ**، وألقيْت مَقاليدَ أمُوري إليْك... **ومُرَادِي لَفْتَةٌ صَمَدِيَّة**، ممَّنْ قُدِّسَ في أزَل الأزليَّة، برحِمة الرحْمانية... **تنيرُ صدْرِي، وتُنِيفُ قدْري**، وتبلِّغني من **كلِّ خيْر**، ما دريْتُ وما لا أدْري"[1].

هكذا **بعد هذا التأسيس** حقق **الشيخ أحمد** بن آدب **الجمع بين المشيختين**، بكل ما ينضوي تحتهما من مقومات **مشيخات أخرى** تلتحق بهما غالبا.

1- الشيخ الصوفي: تربية الشيخ وشيخ التربية

المدرسة الآدِبِيَّة، تنطلق من "مفهوم المقاومة الأخلاقية"[2] الذاتية، الذي أفردت له كتابا في أدبياتهم، حيث يتجه شيوخها، مبدئيا إلى تربية أنفسهم، **تخليةً** من الرذائل، و**تحليةً** بالفضائل، إذ أدركوا - بتَرْبيتهم الروحية العريقة - أنَّ معركة بناءِ الشخصية السَّوِيَّةِ، وتعْزيز السلوك المستقيم، تبدأ من داخل كيْنونَة الإنْسان، قبْل أنْ تشرعَ أسْلحَتها إلى الخارج/ إلى الآخر، وهكذا نجد **عبد القادر (آدب) بن سيد الأمين**، رب هذا البيت، يقدم نفسه **لشيخه الشيخ سيدي**، في مستهل رسالته إليه، باعتباره:«**ممَّن طغتْ به نفسُه** فألقتْه في مَهَاوِي الضلال، وغَلَبَه شَيْطانُه فصَدَفَ به عن طريق الرِّجال أهْل الكمال. **ومَلَكَهُ هَوَاهُ**، فأدْخَلَه فيما يُسْخِطُ عليْه مَوْلاهُ، وتمَكَّنَ منْ قلبه حُبُّ الدُّنْيَا فامْتَلأَ من العُجْب، والسمعة، والرِّيَاء، وغير ذلك وغير... ممَّا لا يُحيطُ به إلا العليمُ الخَبير، العبيدُ الفقير الحقير، الذي هو في

---

[1]- هارون بن الشيخ سيدي: مسودة الجزء الخاص بكنته من كتاب: **الأخبار** "المدون" ص 134.

[2]- أدي بن آدب: **المقاومة الأخلاقية في أدبيات أهل آدب**، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، مراكش، ط1، 2020 م.

أيدي ما تقدمَ ذِكْرُه من الأعْداء أسير: **عبد القادر بن سيد الأمين**، خلَّصَه الله بجاهكم من أسْر النفس، والهوىٰ، والدنيا، واللعين»[1].

وهكذا نرىٰ مَراصِدَ الوالد **آدب**، تتوجَّهُ مَراياها العاكسة إلىٰ ذاتِه، قبْل غيْره، وتشخِّصُ مأزَقها الصعْبَ، في مَقام **"النفْس اللوَّامة"**، مُنْصَرِفَة عن **"النفْس الأمَّارَة"** المرْهوبة، إلىٰ **"النفْس المُطمئِنَّة"**، المرْغوبة، قارعا جرس الإنذار لذاته، قبل أن يقرعه لغيره، قائلا:

ألا أيُّهـا العبْـدُ.. الكَسِـيرُ.. المَهِـيضُ ... ألمْ يَانِ- بعْد الشيْبِ- منْكَ.. نُهُوضُ؟!
ألمْ يَانِ أنْ تسْـلُو.. ولِلـنَّفْسِ- بعْـدَما ... طغتْ، جَهْدَها، واستخْدَمَتْكَ-تَـرُوضُ؟!
وتأخُذَ -منك-الجَهْدَ.. دَأبًا.. مُشَمِّرًا ... ومَالـكَ- في ليْـلِ الـتَّمام- غُمُـوضُ!
رَأيْتُـكَ لم تَسْـتَحْي بِيضًـا، تلامَعَـتْ ... برَأْسِـكَ.. أنْ يَقْتَـادَ قَلْبَـكَ بِـيضُ!
فَهَيِّـئْ.. دَواءً.. حِمْيَـةً.. وعَقائـدًا ... تَنَالُ - بِهـا- بُـرْءًا.. فأنْـتَ مَـرِيضُ!
فبَادِرْ ولا تشْغَلْكَ "سوْفَ" و"عَلَّمَا" ... ولا يُلْهِكَ الطَّرْفُ الكَحِيلُ الغَضِيضُ[2]!

وعلى هذا المَنْهج تبعَ البَنُون أبَاهم، و**"من شابهَ أباهُ فما ظلم"**، حيث وجدنا هناك نصا- في هذا السياق نفسه- عانق فيه صوتُ **"سِيدِيّ"**، صوْتَ **"آدبَّ"**، حين **قام الابنُ بتخْميس أبْياتِ الوَالد**، في السياق نفسه، **والحقيقة** أنَّ هذا هو **الموضوع الأثيرُ** عند جميع أفراد **"بيْت أهل آدب"**، فهذا **مُحمد لحوار بن آدبَّ**- أيضا- يرفعُ أنَينَ روحه- **في مَقام العُبودية** ذاتِه- شاكيا إلىٰ الله كثافة رَيْنِ الذنُوب، علىٰ مِرْآةِ نفْسِه، مُشْفِقا من هاجسِ القطيعةِ معَ لذيذِ صِلَتِه بربِّه:

---

[1] - هارون بن الشيخ سيدي: مسودة الجزء الخاص بكنته من كتاب: **الأخبار** "المدون"، ص 96.

[2] - **المَهِيضُ** من العظام: المكسور بعد الجبر. **يَـانِ**: يحين. **تسْلُو**: تنسىٰ، ومعنىٰ يسلو أيضا تطيب نفسه بعد فراق. **الغَضِيض الطرف**: المسترخي الأجفان. المغضوض البصر.

عبْدٌ.. شَـجَاهُ.. لَـا رَأَى.. مـن حالِـهِ حـذَرُ القطيعـةِ مـن لذيـذِ وِصـالِهِ
عبْدٌ.. تَرَاكَـمَ.. مِـنْ كَـثَافَةِ ريْـنِه بحِجـاهُ.. جَالِـبُ حتْـفِه.. ووَبَـالِهِ
فـإذَا تَرَاكَمَـتِ الهُمُـومُ.. فحَسْـبُه ربٌّ يَـرَى مَـا لا يُـرَى مـنْ حَالِـهِ[1]

ويزيد أيضا:

من سُوءِ ما عملتْ نـفْسِيَّ، مُكْـتَرِبٌ فـرِّجْ كـروبي، إلهـي، فـارجَ الكُـرَبِ
واغفِرْ-إلهـي- ذنوبـا، كنـت أفْعلُهـا واصفحْ، وسامحْ، عن اللذاتِ، والطربِ

وهكذا يبدو أن شبابَ هذه الأسْرة ينْزَعُ إلى الفُتُوَّةِ، بكلِّ تجلِّياتِها، ولكنَّه سرْعانَ ما يُدْركُ **"أنَّ منْ يَتَّقِي اللهَ البَطَلْ"**.

ففي مقام تقريع النفس وتربيتها، **يعزف الشيخ أحمد**، على وتر تأنيب الضمير، والشعور بالتقصير، حتى بعدما ترقى في مدارج السالكين، وأصبح "شيخ المشايخ"، حيث يقول مخاطبا نفسه:

فـيما انهماكـك في اللـذات والطـرَبِ إلى متـى أنـت في لهـو، وفي لعـبِ؟
يـراكِ مـولاكِ، فـيما قـد نهـاكِ، معًـا أوبي، أما لكِ معْ مـوْلاكِ مـن أدبِ[2]**؟**

والحقيقة أن **الشيخ أحمد** لم يكن هو -ولا أي واحد من أسلافه- يدعون **"الوصول"**، ولا **"الحال"**، ولا يقترفون **"الشطْح"**، الذي يتبجَّح زاعموه **بالتصريف في الكون**، وغيره من صنوف الهرطقة والتجديف. بل إنهم - لله الحمد- لا يرون أنفسهم إلا في مقام **العبودية**، و**الإشفاق من الذنب**، فـ **"آدب"** كبريهم الذي **علمهم التعبد بالعبودية**، ينادي نفسه:

ألا أيُّهـا العبْـدُ.. الكَسِـيرُ.. المَهِـيضُ ألمْ يَـانِ- بعْد الشيْبِ- منْكَ.. نُهُوضُ؟!

---

[1]- **بحِجاهُ**: بعقله. وَبَـالِه: **الوبال**: الشدة والضيق وسوء العاقبة.

[2]- **أوبي**: من آب يؤوب إذا رجع وعاد.

وابنه محمد لحوار، يتحدث عن نفسه هكذا:

عبْدٌ.. شَـجَاهُ.. لَمَا رَأَى.. مـن حالِـهِ حـذَرُ القطيعـةِ مـن لذيـذِ وِصـالِهِ

والشيخ أحمد-أيضا-يحقق **عبوديته** في مطلع هذه القصيدة، ويحول وفقة الشعراء المألوفة على أطلال الأحباب، إلى وقفة بكاء على أطلال الذات، ومعاهد الذنوب:

عبْدٌ عَـلَا الشـيْبُ فَوْدَيْـهِ ومـا كتمَـهْ لـو كـانَ يُمْكِنُـهُ كتْمانُـهُ كتَمَـهْ
بـلْ لا بَقَـاءَ لليْـلٍ كـانَ حَادِيَـه صـبْحٌ مُنـيرٌ عليْـهِ نـاشرٌ عَلَمَـهْ
البِيضُ يُنْكِرْنَ مَا قد كان مِنْـكَ، فخُـضْ بَحْـرَ السُّـلُوِّ، وَذَرْ مـا كُنْـتَ مُغْتَنِمَـهْ
وابْكِ الشبابَ، ووصْلُ البِيضِ مَأْتَمُـهُ أَقِمْهُ - وَيْكَ- وَخَلِّ العَيْنَ مُنْسَـجِمَهْ
بل بالبكـاءِ أحَـقُّ الـذنْب، فابْـكِ لـهُ وعَـدِّ عـمَّا مـضَى، لا ترْتكِـبْ زِيَمَـهْ
نُـحْ نـوْحَ أمِّ وَحِيـدٍ إذْ تصـابُ بـه ودَمْعكَ، الدَّهْرَ، منه اسْتَمْطِرَنْ دِيَمَهْ[1]

وبمقام العبودية، يفتتح قصيدته هذه، ويختتمها أيضا، نادما على ما كان في فتوته:

ألا مَـنْ لعبْـدٍ في الهـوى وقرُونِـهِ بدَا الفجْرُ قـسْرا مـن ليـالي قُرونِـهِ؟
فلـيْس لـه إلا الإلـهُ، وعَفْـوُهُ وخَلْـعُ رِدَاءيْ لُهُـوِهِ، وَمُجُونِـهِ
ويَعْبُـدُهُ حَـقَّ العِبـادة مُخْلِصـا يُراقـبُ- في الآنـاءِ- وقْـعَ مَنُونِـهِ
جُنونُ الشبابِ الغضِّ- في الشيْب- سُبَّةٌ ومـا بَعْـدَ شـيْبِ المَـرْءِ بُـرْءُ جُنونِـهِ
فـدَعْ ذِكْـرَ أيـامِ العُـذَيْبِ، وبـارِقٍ وَتـذْكَارَ لَـذْعَاتِ الهـوى وَفُنونِـهِ
ودَعْ ذِكْرَ مِيمِ المَبْسَمِ العذْبِ، ذِي اللَّمَى وَحَاجِبِ مَنْ تهْـوَى، وَتقْـويسِ نُونِـهِ

---

[1]- **فَوْدَيْه**: الفود: جانب الرأس مما يلي الأذن. **حَادِيَه**: الحادي: الذي يسوق الإبل بالحُداء، والحداء هو الغناء للإبل. **خُضْ**: ادخل واندفع وأسرع واقتحم. **ذَرْ**: اترك وتخل عن الأمر. **زِيَمَهْ**: متفرقاته، أو غاراته. **دِيَمَهْ**: الدَّيمة: المطر يطول زمانه في سكون والجمع.

وخَـلِّ سَـبيلَ الأحْـورِ الرَّشَـأِ الـذي ... إذا لمْ يكـنْ بـدْرًا فلـيس بِدُونِـهِ
ولا تُرْسِـلَنْ طَرْفًـا إليْـهِ فإنَّـه ... يُحَاكِي شعاعُ الشمسِ ضوْءَ جَبينِهِ
إذا لمْ تَغـضَّ الطـرْفَ عنـه وتَتَّقِـي ... حبائلَـهُ أصـبحتَ طـوْعَ يَمِينِـهِ
وحسْبُ امْرئٍ يرْجو النَّجَاةَ وسُبْلَها ... إذا كـان ذا عقْـلٍ يَفِـرّ بِدِينِـهِ
فيـا رَبّ، عبْـدٌ تسْـتَهِلُّ شُـؤونُهُ ... على حوبِـه، أصْـلِحْ لـه مِـنْ شُـؤونِهِ
تـراهُ عـلى مـا كـانَ مِـنْ سُـوءِ فِعْلِـهِ ... يَخَافُ ويرْجـو منْـكَ حُسْـنَ ظُنُونِـهِ[1]

والحقيقة أن **الشيخ أحمد بن آدب** منذ تجاوز مرحلة "**جنون الشباب الغض**"- كما يسميها- لا يكاد يكف عن **تقريع نفسه**، في **مقام العبودية** نفسه:

عَبْـدٌ سَـفِيهٌ كفَـاهُ اليـوْمَ أنْ بَاعَـا ... بـاقٍ بفـانٍ يَظُـنُّ الـرِبْحَ فانْبَاعَـا
أطاعَ نفْسًا لجُوجًـا في الهـوى جَمَحَـتْ ... مَنْ يُعْطِهَـا الشِّـبْرَ تَأْخُـذْ عنْـوَةً بَاعَـا
إبْلِيسُ، دُنْيَا، هَوًى، نفْسٌ لـه خَبُثَـتْ ... قَسَّـمْنَهُ بيْـنَهُنَّ اليَـوْمَ أرْبَاعَـا[2]

وهكذا من خلال **تربية الشيخ أحمد لنفسه** كان **يربِّي غيره**، فكأنه اكتفى بخطابه لنفسه بهذا التوجيه والتأنيب، عن خطاب مُريدِيه، وتوْجيههم، حيث لم ير نفسه خارج **مقام العبودية**، ولعلَّ الخطاب الوحيد التوجيهي الذي وجدت له، كان عبارة عن رسالة، إلى ابن عمه ومُريده: **سيد الأمين** الملقب"**خُ**" بن سيد أحمد بن سيد الأمين **زعيم أولاد بوسيف** الكنتيين في **الحوض الشرقي**، يستهلها باعتبارها نصحا لنفسه، قبل أن تكون نصحا للمخاطب، كما يختمها بطلب الشيخ الدعواتِ الصالحةَ من قِبَل تلميذه، ووصيته على ذلك، حتى بعد موته، إن نُعيَ

[1]- **مَنُونِهِ**: موته. **الآناءِ**: ساعات من الليل. **لَذْعَاتِ**: ما قرص وآلم. **اللَّمَى**: السمرة في باطن الشفة. **المَبْسَم**: الثغر والفم. **الأحْور**: من الحور، وهو اشتداد بياض العين مع اشتداد سوادهما. **الرَّشَأ**: ولد الظبية.

[2]- **لُجوجًا**: كثير اللجاج، وكثير الإلحاح، وهو العنيد أيضا.

إليه، حيث كان متضايقا من الحياة في عصره، ومستشعرا لقرْب الرحيل، إذ يقول فيها:

«**هذا وإنه بالسلام التام**، الطيِّب العام، والرحْمة والبَرَكَةِ والإكْرام، من عبْد مولاهُ الفقير إليْه المُعَوِّلِ فِي كُلِّ الأمُور عليْه: **أحمد بن سيده عبد القادر، إلى اللبيب الأريب** في المَوارِد والمَصادِر، الحاذق الفَطِين، ذِي السَيْبِ في شُهْبِ السِّنِين، أعْني **سِيد الأمين بن سيد أحمد بن سيد الأمين**، وقانا اللهُ – وإياهُ– كيْدَ اللَّعِين، وجَعَلَنَا بالدِّينِ منَ المُعْتَنِين، **وإنَّه، بحمْدِ الله إليْكَ**، الذىٰ لا إله إلا هو، **والوَصِية لنفْسي ولكَ بتقْوَى الله** العظيم، **وعدَمِ الرُّكُونِ إلى الدنْيا** والمَيْلِ إليْها، وتَوَقِّي حَبَائِلها التي تصْطادُ بها مَنْ مَرَّ حواليْها، إذ هِي أسْحَرُ منْ "**هَارُوت**" و"**ماروت**"، وليس لصاحِبها المُقْبِلِ عليْها إلا أنْ يَكونَ لا يَمُوتُ، واسْتعِذْ منْ شرِّها بالله ربِّكَ، **وما وَجَدْتَ مِنْهَا فاجْعَلْهُ بيدِكَ، أخْرجْه من قلْبِكَ**، إذْ بُعْدُ مَا بيْن الدنْيا والآخِرة، بُعْدُ ما بيْن المَشْرق والمَغْرب، **ولا يَصِحُّ إمْساكُها لسَالكِ طريقِ الآخِرَة**، إلا بعْد القدْرة علىٰ إمْسَاكها فِي يَدِه، وإخْرَاجِها منْ قلْبِه، فإذا بَلَغَ ذلك، فلَهُ أنْ يُمْسِكَها، وَيفْعَلَ فيها ما يشاءُ، ويتصرَّفَ فيها كيْف شاءَ؛ لكوْنها صارتْ لا لُمْباهاةٍ، ولا تكاثُرٍ، ولا تفاخُرٍ، بل لعِفَّةِ النَّفْسِ عنِ السُّؤال والنفقَةِ علَىٰ العِيال، وتأديةِ ما فرَضَ اللهُ فيها من الحُقوق، واعلمْ أنَّ هذا الزّمان الصَّعْبَ الذي صُبَّتْ فيهِ الذُّنُوبُ صبًّا، وعُمِلَ فيهِ بالمَعَاصِي لا يَنْفَعُ فيه إلا الإقْبال علىٰ الله تعالىٰ، ودوام اللُّجُوء إليْه، والدُّعاء، والانْكسار، والتذلُّل، والخُضوع، والصَّدَقَةِ في كلِّ عارضٍ يعْرِضُ من كسْبٍ طيِّبٍ، ومَهْمَا غفلَ الشَّخْصُ عن هذيْن المَذْكورَيْن آنفا فقد تُوُدِّعَ منْه.

وإنْ أتاكمْ نعْيِي فلا تنْسَوْنِي من الدُّعاء، والصدَقة، فإنِّي غريبٌ الآنَ في هذا الزمَنِ وأهْله، ولا آخذ منْهم خَبَرا، ولا أجِيبُ أحَدا منْهمْ عنْ مَسْأَلَة. **ولا بُدَّ من مَجْمُوعٍ فيه ما يُحْتاجُ إليْه أوْ بعْضُه أؤلفُه لكم**».

ولعل هذا الختام مهم لأن فيه استشعارا لضرورة، الانتقال من الاكتفاء **بتربية الشيخ لنفسه**، إلى **مقام شيخ التربية**، الذي يواكب تلاميذه بالتوجيهات الضرورية، لا سيما في ظل ذلك **"الزّمان الصَّعْبَ** الذي **صُبَّتْ فيهِ الذُّنُوبُ** صبًّا، وعُمِلَ فيهِ بالمَعَاصِي"، كما وصفه، ورغم أني لم أجد أثرا لذلك المجموع الموعود، فإن هذا **الشيخ/ العبد/** ، المشغول بتربية نفسه، لم يزده تواضعه لله، إلا رفعة في عيون عباده، حيث كان جل تلاميذه ومُريدِيه الكثيرين، من مشايخ مجتمعه، روحيا وسياسا، إذ كان مرجعية الطريقة القادرية داخل فضاء كنتة الغربيين عموما؛ فمثلما كان والده **عبد القادر "آدب"، شيخا** في فضائه الجغرافي الاجتماعي الواسع، حيث عُدَّ- حسب روايتنا الأسرية- من ضمن **مريديه: ثلاثة** من **أبناء باب أحمد** بن الشيخ **سيدي المختار الكنتي**، هم: **سيد مُحمد** الملقب بـ**"أج"**، و**عابدين**، و**البكاي**، هكذا كان **تلاميذ الشيخ أحمد**- حسب روايتنا الأسرية أيضا- من **أبناء الشيخ سيدي المختار الكنتي**:

1- الشيخ بن عابدين بن باب أحمد بن الشيخ سيدي المختار، وأولاده الثلاثة:

أ- باب أحمد بن الشيخ بن عابدين.

ب- البكاي بن الشيخ بن عابدين.

ج- السبقه بن الشيخ بن عابدين.

ومن **أبناء الشيخ سيدي محمد الخليفة** بن الشيخ سيدي المختار الكنتي كان من تلاميذه:

2- الشيخ **(الديه)** بن باب بن سيد مُحمد الكنتي بن الشيخ سيد محمد الخليفة.

ومن أولاد بوسيف:

3- العالم الجليل: الجيلي بن أحمد انبسيف في تگانت.

4- حم بن سيدي بن آدب في البراكنة.

5- محمد بن أحمد اسْقَيِّر في الحوض الشرقي.
6- مَزِينُ بن محمد للمختار.
7- ديِّري بن مان.
8- سيد الأمين الملقب: "خُ" بن سيد أحمد بن سيد الأمين زعيم أولاد بوسيف في الحوض الشرقي.

ومن **أولاد سيد حيبله في تگانت**:

9- زعيمهم العام: أحمد بن سيد مُحمد بن أحمد.
10- عمار بن مُحمد بن محمد لحمد.
11- أخوه: الشيخ بن مُحمد.

ومن أولا البح(أولاد سيد حيبلّه)

12- أحمد بن الشيخ بن بدَّه، المشهورب "حبَّاس السيِّل"، أحد "الضُّمَانِ"، المعتبرين.
13- أخوه: محمد المختار بن الشيخ بن بدَّه.

ومن أولاد التناكية (أولاد سيد حيبلّه):

14- حمود بن لمرابط.
15- أخوه محمد المختار بن لمرابط.

ومن **أولاد سيدي الوافي** في تكانت أيضا:

16- زعيمهم: "اجَّ" بن أحمد بن محمد محمود بن أمينوه.
17- محمد الصغير ولد ودادي.
18- عيشة الصغيرة بنت ودادي.

ومن المتغبرين:

19- عبد الله بن شماد.

ومن أهل الأزرق:

20- الشيخ بن أنَّ زعيم جماعته.

ومن **زعماء أولاد الناصر** في الحوض الغربي:

21- اعمر بن حبيب.

22- عثمان بن بكار.

ومن تركز:

23- محمد محمود بن سيد المختار التركزي.

ومن **تاكنييت:**

24- الشيخ سيد محمد التاكنيتي، قضىٰ معه 80 يوما، وقد أحبه، «وتعلق به تعلقا لم يحدث له مع غيره؛ لما رأىٰ فيه من الصراحة، وحسن المكاشفة»[1].

والحقيقة أن الأولى هنا هو **حصر من ليس تلميذا للشيخ أحمد بن آدب، إذ** لا يكاد يومئذ- يوجد في ذلك المجال الجغرافي، والفضاء الاجتماعي المترامي الأطراف ما بين تكانت والبراكنة، والحوضين من ليس تلميذا له، وما علمت لكنته- في عصره- شيخا غيره أبدا، ولكنني أضربت صفحا عن ذكر الكثير تجنبا للحساسيات المُسْتَجِدَّة، في الأخلاف بعد الأسلاف، مع أن التلمذة كانت- في نظر تلك الأمة الخالية- شرفا، وسعيا للكمال، لا منقصة، كما أصبحت عليه الآن.

وأذكر- في هذا الصدد- أن أحد الإخوة، أواخر تسعينات القرن الماضي، تَرْجَمَ لي- شفويا- تقريرا فرنسيا، كان كاتبه يحلل توازنات الوضع السياسي الاجتماعي لشيوخ كنته في تگانت، فكان يربط مدىٰ قوتهم وتمكنهم بمدىٰ قربهم الروحي، أو الاجتماعي، من الشيخ أحمد بن آدب.

[1]- جوانب من حياة الشيخ سيد محمد التاكنيتي، ص 57.

2- الشيخ القبلي: سياسية الزعيم، وزعيم السياسة

يلاحظُ المُتَتَبِّعُ هنا **ترابطا** عضْويا وثيقا بين **مختلف صفات المشيخة** في شخصية **الشيخ أحمد**، روحيا، وسياسيا، وحتى **القطبية الشعرية** اللاحقة، فهي **كلها أبعاد مُنْدَمِجَة** في ذات **"شيخ المشايخ"** هذا كما سمَّاه أخوه الأكبر وشيخُه: **سيدي ولد آدب**، فالزعامة السياسية هنا وليدة الزعامة الروحية هناك، حيث اقتضت هذه المركزية الروحية، شبه الشاملة، المتشعبة الامتدادات في جل الفضاءات الكنتية وغير الكنتية، قياداتها وجماعاتها، أن يتفرد الشيخ **أحمد بن آدب** بكتاب/ **"كنَّاش"**/ سجل إداري، في دائرة **المجرية بتكانت**، خاص **بأهل آدب، لا** يتبعون فيه لأية قيادة كنتية، ولا حتى قياديٍّ فخذيٍّهم: أولاد بوسيف خُضْرِهم، وبِيضِهم، أحرى الأفخاذ الكنتية الأخرى، التي قلما يوجد لها زعيم إلا وهو مريد للشيخ أحمد بن آدب...

وقد تأسست هذه **المشيخية "الآدبِّيَّة"** السياسية المستقلة، بعدما **نزح الشيخ أحمد** من منطقة آفطوط في **البراكنة**، إثر خلافات بيْنِيَّة داخل **أولاد بوسيف** هناك، اشتد حوله تقاطبُها، ولم يستطع احتواءها، فهاجر إلى **تگانت** بحوالي خمسين خيمة، وحتى أهل آدب الذين بقوا في آفطوط بقيادة تلميذه وابن أخيه: **حم بن سيدي ولد آدب**، كانوا تابعين **لسجل مشيخة الشيخ أحمد** في دائرة المجرية، لا للسجلات الإدارية البوسيفية في البراكنة.

وقد كانت هذه **"الاستقلالية والمركزية"** بداية لمنعطف حاسم، في **سياسة الشيخ أحمد بن آدب**، لنفسه أولا، حيث مثلت لديه **مرحلة الاستقرار** والتحضر، والخروج من طور **الترحال المستمر**، داخل **مجاله الجغرافي** الاجتماعي المترامي الأطراف، ما بين **البراكنة** موطن ذويه من **أولاد بوسيف** بيضا وخضرا، بمن فيهم أبناء أخيه **سيدي بن آدب**، و**الحوض الغربي** مستقر أخيه **محمد لحوار**، وأهله ومحبيه من أولاد الناصر، و**الحوض الشرقي**، بكل من يستوطنه من أهاليه ومحبيه، **وتگانت/ أم القصور**، حيث **أمهات قرى** قبيلة **كنته**، وموطن **عاصميْتها**

التاريخيتيْن: **"قصر البركة"**، و**"الرشيد"**... فقد كان **الشيخ أحمد** منذ صباه، يجد مندوحة في سعة فضاء الله المفتوح هذا، وكلما انزعج الفتى المدلل الذي كان يسكنه هنا، ارتحل إلى هناك، حيث لم يتربّ على غير الإجلال والتوقير، حتى من طرف أخويه الأكبرين، فعندما كان مرة مع أخيه **محمد لحوار** في الحوض الغربي، وهم بالإقلاع في لحظة مغاضبة، كان الأخ الأكبر يبالغ في ترضيته واستبقائه، ثم يعرض عليه- إن أصر على الارتحال- أن يستصحبهم معه أينما توجه، واصفا إياه بكل صفات الزعامة والقيادة، فهو **"ثِمال اليتامى"**، و**"مُشْكِي الشُّكاة"**، و"هو **الخليفة**" منّا جميعا، حيث يقول له:

سلام مرتهن، بالشجو، والأسَفِ ... حِلْفِ الأسى، والبُكا، والأدْمع الذَّرُفِ
مُرْضٍ بِمَا يُشْتَهَى مِنْهُ، ومُنْكَسِرٍ ... وبالذي لمْ يكنْ، وَكانَ، مُعْتَرِفِ
إلى ثِمال الورَي، مُشْكِي الشُّكَاة، ومَنْ ... هُوَ الخَلِيفَةُ مِنَّا، عَزَّ مِنْ خَلَف!
وبَعْدُ فلْتَعْلَمَنْ أَنِّي- وَخالِقِنَا- ... عمَّا يَسُرُّكَ - مِنِّي- غَيْرُ مُنْحَرِفِ
ولا أقصِّرُ فِي أَمْرٍ، تشيرُ بِه ... وَغَيْرَ مَا تَرْتَضِيهِ لمْ أَقُلْهُ بِي
ولمْ أفَضِّلْ - بفضْلِ الله- كوْنَكَ عن ... درْس المدارس، في مَلْهَاك بالعزف
أمَّا الفِرَاقُ، فلا تُنْهِضْ رَواحِلَه ... مَا اعْتِيدَ- قطُّ- فِراقُ اللّام للْألِفِ
فارْحَلْ، بنَا، كُلّنَا، إنْ كنْتَ مُرْتَحِلا ... أو فَلْتُقِمْ مَعَنَا فِي خيْرِ مُؤْتَلَفِ
إنَّ المقامَ- بلا جدْواكَ- يا أمَلِي- ... عيْنُ العَنَا، وَالأَسَى، والحُزْنِ، والتَّلَفِ[1]

ورغم كل ذلك، ارتحل **الشيخ أحمد** - فيما بعد- من **الحوض الغربي**، إلى **البراكنة**، حيث مضارب **أولاد بوسيف**، وعاش هناك - ما شاء الله- مكرما مبجلا، مسموع الكلمة، مُرَاعى الخاطر، وظَلَّ بينهم حريصا على مصالحهم، واجتماع شملهم، محاولا الإصلاح ما استطاع، وعندما عجز عن التوفيق- بطريقة ودية- بين بعض المتقاطبين سياسيا من أهاليه، في ذلك الفضاء، قرر الهجرة

[1]- **الذُّرُفِ**: المنسكبة والسائلة.

– أخيرا– إلى **تكانت**، منتجع راحته، وعزه، ومحبته، وأحد ثغور الدفاع عن حوزة المجتمع، حيث كان يستبسل هناك – في شبابه– مع أخوته، وقومه، كلما فرضت حروب البلاد السائبة نفسها.

وهنا بدأ **التأسيس الحقيقي** لكيان **زعامته الآدبية**، فثبَّتَ بناء **أسرته الخاصة** بشكل أكثر استقرارا واستمرارا، وبنى **داره الكبيرة** في حاضرة **قصر البركة**، وأنشأ "كناش" مشيخته القبلية المتسقل **بدائرة المجرية في تكانت**، باسم **كتاب أهل آدب**، مشكلا إياه على نواته الصلبة المتمثلة في خمسين أسرة رافقته إلى تكانت، وكانت هذه النواة تمثل **منزعه الإنساني** الروحاني **في سياسته**، حيث كان أغلبها من الفقراء، غير القادرين على دفع الضرائب/ "**العُشْر**"، يلتمسون الحماية من ذلك **بوجاهة الشيخ أحمد** إعفاء من الدفع، أو كرمه بالدفع نيابة عنهم، وعندما رأت بعض الأسر ذات المواشي ممن رافقه، و"**كاتَبَه**" أن موطنهم الأصلي في "**آفطوط**" **بالبراكنة**، أليق بهم، من حيث الرعي والانتجاع، أشار عليهم بالرجوع إلى هناك، ومكاتبة بعضهم **لأهل حمادي** شيوخ أولاد بوسيف البيض، **ومكاتبة** بعضهم **لأهل أحمد عبد** شيوخ أولاد بوسيف الخضر، وفق معايير مناسبة يراها هو، بينما احتفظ بغالبية شعبيته الفقراء.

ثم **استقل**– بعد ذلك– **بقريته** الخاصة، في "**وادي النبط**"، **حضرة** الشيخ، و**عاصمة** أهل آدب... الآنفة الذكر التي نالوا ملكيتها في الربع الأول من القرن العشرين.

وإذا كنا تناولنا **المشيخة** الروحية **للشيخ أحمد** من منظور ثنائية، **تربية الشيخ**، و**شيخ التربية**، فإننا سنتناول **مشيخته** السياسية، من منظور **سياسة الزعيم**، وزعيم السياسة، حيث تقتضي فلسفة "**المقاومة الأخلاقية في أدبيات أهل آدب**"[1] – كما رأينا في كتاب مستقل– أن كل تربية، وسياسة، ومجاهدة، وتعليم،

[1]– أدي ولد آدب: **المقاومة الأخلاقية في أدبيات أهل آدب**، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، مراكش، ط1، 2020م.

وتهذيب، ينبغي أن يتجه إلى الداخل، قبل أن يوجَّه إلى الخارج، ويجب أن يبدأ بالذات، ليكتسب فاعليته المنشودة في روح الآخر..

وهكذا لم نجد **للشيخ أحمد** كثيرا من **التوجيهات والإرشادات السياسية** لشبكة **مريديه** الكثيرين الملتبسي الأبعاد الروحية بالأبعاد السياسية، فهما - في مرجعيات هذه المدرسة- وجهان لعملة واحدة، وبناء على هذا كان **خطاب الشيخ أحمد** - في القليل المحفوظ منه- إلى هؤلاء وأولئك ملتبس **المنطق الديني بالمنطق الدنيوي**، فسياستهما - في النهاية- موحَّدَة المُرتَكَز.

فالشيخ أحمد، بعدما نفثه **والده آدب** في روعه، من هدهدات شعرية جمعت له- وهو ما يزال في المهد صبيا- بين صفات **الشيخ**، **والنبراس**، **والمعلم**، **والعالم**، وحتى **العَلَّامَة**، وحكمت له بأنه سيكون **مهوى أفئدة الناس**، ومحج وفود **ذوي الحاجات**، **وملتمس التخويل** المادي، **والتقديس** الروحي، وبأن مدد عطائه يفوق مدَّ البحار، وانهمار الأمطار، وأن جُودَ يمينه، يكسر صخور البخلاء، وأن بحور العلم تنفجر من راحتيه.... وأنه - باختصار الاختصار- **الفخر الكنتي** الكامل الماثل يمشي بين الناس على قدميه، وأنه **فاق الحاضر والغابر** من قومه...

وبعد **قصيدة "التربية"** التي **جعلها** له أخوه وشيخه الثاني- **سيدي بن آدب- "جنة المريد، دون المريد"**[1]، ونهج له فيها **"إرشاد السالك لأقوم المسالك"**[2]، ووضع له فيها قواعد السلوك، وأُسُسَ الوُصول إلى أسمى المقاصد، عبر أجمل المراصد...

بعد هذا وذاك ها هو **يرمي بنفسه** - ولو من بعيد- **بين يدي شيخه** الآخر: **الشيخ باب** بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي الأنتشائي، **حفيد شيخ آدب** والد الشيخ أحمد، حيث يراسله كاتبا: «ليكنْ في كريم عِلْمِكَ أيها الأكْرمُ الأرْحم،...، أني **طرحتُ نفْسي بين يديْكَ**، وألقيْت مَقاليدَ أمُوري إليْك...

---

[1]- عنوان كتاب ألفه الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار، لتلميذه: الشيخ سيدي بن المختار الهيبة.

[2]- عنوان كتاب ألفه الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار، لتلميذه: محمد ويقي بن مُحمد بن سيد الأمين البوسيفي.

ومُرَادِي لَفْتَةٌ صَمَدِيَّة، مِمَّنْ قُدِّسَ في أزَل الأزليَّة، برحِمة الرحْمانية... **تنيرُ صدْرِي، وتُنِيفُ قدْري**، **وتبلِّغني** من كلِّ خيْر، ما دريْتُ وما لا أدْري».

«ومن أجْل ذلك أطلُب منكمْ **الجمْع بيْن الضّرَّتيْن**، والقِرَانَ بيْنَ **الحَسَنَتَيْن**، والحُصولَ على كِلْتا **السعادَتَيْن**، والفوْزَ بكلا **الفَخْريْن والعِزَّتَيْن**، ما لا يُوصلُ إليه، ولا يُحْصل عليه، إلا بمحْض فضْلِ الله وعِنايَته، وبركة التعلق بخاصَّتِه من أهْل وُدِّهِ وولايَتِه»[1].

فهذا كله استثمار في سياسة الذات.

أما توجيهاته المتوقعة الصدور منه **إلى الآخرين من مريديه**، فهي أيضا لا تكاد تتجاوز الدائرة الضيقة التي هي أقرب إليه من حبل الوريد، فالتوجيه بالشعر عنده لا يتعدى نصا واحدا صغيرا – حسبما وجدنا– يتجه إلى آخر، أقرب إلى الذات منه للغير، هو ابنه وخليفته، **محمد بن آدب**، وارث سره، حيث يرشحه هنا ويكرسه شَيْخًا، و"شِيخًا"[2]، بخطاب مزدوج بين التوجيه السياسي، والتوجيه الصوفي، والتوجيه الأبوي عموما:

نظَـرِي إليْـك – برحْمَـةٍ– مُتتـالي ... وبشـفْقةٍ، تـرْى، مـع الإجْـلال
ومَصُـونُ سِرِّي قـد أبَحْتُـكَ كنْـزَه ... حتَّـى غـدوْتَ بكـلِّ حـلْيٍ حـالِي
أرجو الإلـهَ ثبَـاتَ أمْـركَ فى الـذى ... يُرْضِـيه– جَـلَّ – وأنْ يُـزَيِّنَ حـالي
فلتحذرنْ من غيِّ نفْسـكِ، واستعـذْ ... من أنْ تُعاض –من الهُـدى– بضـلالِ
فالنفْسُ شِيمتُها الخديعةُ. "يوسفٌ" ... قـد قـال ذلـك، فى الكتـابِ العـالي
قـولُ النبـيِّ محمـدٍ فى شأنِهـا ... متكـاثرٌ، مُتتـابعٌ، مُتَتَـال
فلتحـذرنْ أبْنـاءَ جِنْسِـكَ ولـتكنْ ... مُتَحَفِّظًـا مـنْ قِـيلِهِم، والقـالِ

[1]– هارون بن الشيخ سيدي: مسودة الجزء الخاص بكنته من كتاب: **الأخبار** "المدون"، ص 134.

[2]– تفرق الثقافة الحسانية الدارجة، بين الشيخ بفتح الشين والشيخ بكسر الشين، بتخصيص الأول بالدين، وتخصيص الثاني بالدنيا.

بالبشْر عامـلْ كلَّهَـمْ مـن ذِي الصـدا قــة مــنهم، وكــذا العَــدُوّ القــالي[1]

ثم يرسل توجيها آخر إلى أحد أبناء عمومته وإخوانه المقربين، هو **سيد الأمين بن الشيخ بن أن الأزرقي الكنتي**، يقدم له استشارة ومقترحا لطيفا حصيفا، بإصلاح ذات البين عبر تدبير خلاف أخوي خاص، في شأن اقتصادي حيوي بينه وبين أخويه، حيث كتب بعد براعة استهلال واضحة:

«بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الحقَّ أحقَّ أنْ يُتَّبَع، وأمَرَ بَزجْرِ منَ زاغَ عن طريق الحقِّ وابْتَدَع، **والصلاة** والسلام على من سنَّ الهُدى وشَرَع.

وبعد؛

فسَلامٌ أوْفَر، أشْهى من مِسْكٍ أذْفَر، **من راسم الحُروفِ**، إلى **أخي المَعْرُوف**، الذي **بكل خيْرٍ موْصوف**؛ أعْنِي **سِيدَ الأمِين** بن الشيْخ **وأخَوَيْهِ**، باركَ اللهُ لكلٍّ مِنْهُما **فيما لديْه**.

مُوجِبُه منِّي إليكم، أنِّي مُشِيرٌ إليْكمْ **بترْكِ أحْرَاثِكِمْ** علَى حَالَتِهَا الأولى، وقَدِّمُوا في ذلك أرْضَ "الخَاثرَ". **ولله دَرُّ التقْوى** ما تركَ لذِي غيْظ شِفاءً، **والخيْرُ وراءَ مَا تهْوَى النُّفُوس**، وقانَا الله- وإيَاكمْ- كلَّ شرٍّ وبُوس، ويكونُ هذا بالعَجَل، وقانَا الله- وإياكمْ- كلَّ خَجَلٍ ووَجَل، والحاذقُ يكفِيه التنْبِيه، وهذا فِيهِ ما فِيه».

وقد وقعها بصفة المحبة فقط: (**محبكم**: أحْمد بن سيِّده عبد القادر).

وهناك "**استدراك أخير**"، كما سمَّاه كان غاية في الأهمية، حيث حرص على معرفة الرد كيفما كان، للاطمئنان على النتيجة الإصلاحية لذات البين:

---

[1]- **تتْرى**: جاءوا تترى أي متواترين متتابعين واحدا بعد واحد وبينهم فترة ومهلة. **أبَحْتُكَ**: أباح الأمر أطلقه وأجاز الإتيان به. **القالي**: المبغض والكاره والتارك.

«وإذا **أتاكم الكتابُ** فليكتبْ لِي سيد الأمين كتابا فيه أنَّه قطعَ نَظَرَهُ من ذلك العَمَلِ، وأنَّه أثْبَتَ كلَّ أحدٍ فِي حَرْثِهِ القَدِيمِ، أو بِعَدَمِ قبول ذلك، **ويكونُ رَدُّ الجَواب بالعَجَل**.

وكتبه كاتبُ أعْلاه، وما بِمُحَوَّلِه».

وفي السياق نفسه يكاتب أيضا أحد مُريديه المقرَّبين؛ هو ابن عمه: **سيد الأمين** الملقب **"خُ"** بن سيد أحمد بن سيد الأمين، **شيخ أبناء أبي سيف** الكنتيين في الحوض الشرقي، قائلا- بعد نصيحته لنفسه وله بالتقوى، والتخلص من شح النفس، وعدم التعلق بالدنيا، وما فيها مهما زها وكثر:

«واعلمْ أنَّ هذا الزّمان الصَّعْبَ الذي صُبَّتْ فيهِ الذُّنُوبُ صبًّا، وعُمِلَ فيهِ بالمَعَاصِي لا يَنْفَعُ فيه إلا الإقْبال على الله تعالى، ودوام اللُّجُوء إليْه، والدُّعاء، والانْكسار، والتذلُّل، والخُضوع، والصَّدَقَةِ في كلِّ عارضٍ يعْرِضُ من كسْبٍ طيِّبٍ، ومَهْمَا غفلَ الشَّخْصُ عن هذيْن المَذْكورَيْن آنفا فقد تُوُدِّعَ منْه.

وانْ أتاكمْ نعْيِي فلا تنْسَوْنِي من الدُّعاء، والصدَقة، فإنِّي غريبٌ الآنَ في هذا الزمَنِ وأهْلِه، ولا آخذ منْهم خَبَرا، ولا أجِيبُ أحَدا منْهمْ عنْ مَسْأَلَة.

ولا بُدَّ من مَجْمُوعٍ فيه ما يُحْتاجُ إليْه أوْ بعْضُه أؤلفُه لكم».

فهنا يلاحظ أن الشيخ أحمد بدأ يضيق ذرعا بزمنه، ويحاول اعتزال أهله، وما يشغلهم عن الله، لكنه يدرك في الوقت نفسه «أنَّ هذا الزّمان الصَّعْبَ الذي صُبَّتْ فيهِ الذُّنُوبُ صبًّا، وعُمِلَ فيهِ بالمَعَاصِي»- كما وصَفَه- يضعُ على عاتق **الشيخ** مسؤولية مضاعفة في شأن التوجيه الديني والدنيوي معا، وهذا ما جعله يعِد بتأليف كتاب ما يساعد مُريديه في سياسة النفس، وسياسة الناس.

وقد سجل **الشيخ أحمد بن آدب** في نهاية الرسالة لمسات جميلة في رقي السياسة، والإيحاء بالتزام روح الجماعة، والسعي للوفاق بدل الشقاق، والتحام الزعيم بنبض مختلف شركائه، حيث كتب:

«ويَعُودُ السلامُ السليمُ إلى بابَ أحمدو بن بوج، وأحْمَد بن أخْيارهم، وجميع الإخوان معًا، **وعليكمْ بإصْلاح ذاتِ البَيْنِ، والتعاوُنُ على البِرِّ والتقْوى**.

واعْلِ بن السالك أتانا، وإنِّي **مُوصِيك** عليْه، **وأوْصيتُه** بطاعَتِك، فأشفقْ عليْه، والسلام».

وكما **رَصَدَ مادحُوه** من الشعراء **الأوْجَهَ السابقة** من مشْيخته، لم **تَفُتْهمُ مَشْيخته القبَلية، ومركزيته الاجتماعية**، حيث يقول هذا الشاعر:

مَتَى تَلْمُمْ بِه لِطِلابِ حاجٍ ... تَنَلْ ما شِئْتَ مِنْ كَرَمٍ وجودِ
لَئِنْ سادَ القبائلَ فِي صِباهُ ... ببحْرٍ، مِنْ مَوَاهِبِهِ، فَرِيدِ
لقد أمْسَى، وأصْبَحُ منْهُ شَهْمٌ ... تَهُشُّ لمَدْحِهِ غُرَرُ القَصِيدِ
وحاجات قضيتَ، بَلَا امْتنانٍ ... عَلى رغْمِ المُكاشِحِ، والحَسُودِ
ألا يا شيْخُ أحْمَدَ، هاك، خُذْها ... لآلِئَ نظْمٍ قَافِيةٍ شَرُودِ[1]

وإلى ذلك أشار القاضي الجليل: **عبد الرحمن بن بلال** الجملي، في رثائه:

فلو أنَّ المَنِيةَ بالمعالي ... عن الأشْراف تُدفَعُ، والرَّزَايا
لكانَ الشيْخُ أحْمَد ذا حياةٍ ... مُخَلَّدَةٍ، إلى بعْثِ البَرَايا
إمَامٌ، كانَ للحاجاتِ مَأْوَى ... إليهِ الجُرْدُ تُعْمَلُ والمَطَايَا
فكمْ مِنْ مُهْتَدٍ أهْدَى سريعًا ... وكمْ من مُعْتَدٍ أوْلَى بَلايا!
وكمْ في الغيْب أخْبَرَ في صِبَاهُ ... وآثَرَ بالحَوائجِ والغَوَايا!

[1]- **تَهُشُّ**: هش للمعروف انشرح صدره فرحا وسرورا به. **غُرَر**: الليالي الثلاث الأولى من كل شهر قمري. **المُكاشح**: المضمر العداوة والمخفيها.

وكـمْ - مـن غـيْرِ قُـلٍّ - بـاتَ يـدْعُو خَمِـيصَ الـبَطْنِ، أضْـلُعُه حَنَايَـا!
تَخـافُ العُـرْبُ منْـهُ، مـعَ النّصـارَى وتَبْعَـثُ مـن مَخافَتِـهِ الهَـدَايا
تَـزَوَّدَ مِـنْ دُنَـاهُ بِـزادِ تقْـوى ومَـا عَمِـلَ الجَـرَائمَ والخَطايـا[1]

[1] - خَمِيص البطن: فارغه.

سابعـــا

القطبية الشعرية

سبق أن ألَمَّحنا إلى **الترابط العضْوي بين** أضلاع مُثَلَّثِ **المَشْيخات** الروحية، والسياسية والشعرية **المندمجة الأبعاد** في شخصية **الشيخ أحمد بن آدب**، الذي وصفناه في العنوان، بـ **"شيخ المشايخ"**، اقتباسا من أخيه الأكبر **سيدي ولد آدب** جدنا، الذي حلَّاه بهذا اللقب في بيت سابق، وقد أضفنا **القطبية الشعرية**، تكملة للعنوان، باعتبارها إحْدىٰ تلك المشيخات، وذات تفاعلٍ خلَّاقٍ مع أختيْها **الصوفية، والسياسة**.

1- وراثتها

قبل البرهنة المنتظرة علىٰ أن **الشيخ أحمد قطب الشعراء**، في فضاء "كنته الغربيين"، نريد أنْ نُبَرْهِنَ فقط علىٰ أنَّ **الشيخ أحمد بن آدب** - موضوع بحثنا الراهن- ليس بِدْعًا، في علاقته بهذا الموضوع، فهو الوريث الشرعي، لـ **"أسرة أهل آدب سلالة الشعر، وبيت القصيد"**[1]، وهؤلاء خلاصة لتفاعلات جدلية **"النسب والأدب"**، عبر القرون، والعروق، والأجيال، فهو - كما قلنا عن أخيه **سيدي بن آدب**[2]- أبو الشعراء، وأخو الأدباء الشعراء، وابن الشعراء الأدباء،

[1]- أدي ولد آدب: **أسرة أهل آدب سلالة الشعر، وبيت القصيد**، مؤسسة آفاق للدرسات والنشر والاتصال، مراكش، ط 1، 2020 م.

[2]- أدي ولد آدب: **سيدي بن آدب: رمز الفتى الكنتي، وفارس المدفع والقلم**، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال- ط 1، 2020 م.

وابن عم الشعراء الأدباء، المعرق في سلالة الشاعرية البوسيفة الخضراء، والبيضاء، وفي جدلية النسب والأدب الكنتية عموما، التي كانت نشأتها القبَليَّة توأما أزليا لنشأة الشعر الفصيح[1] والحساني[2] في هذه البلاد، والتي وصل مجمل المدوَّن منْ شعْرِهَا حتىٰ الآن، إلىٰ 7000 بيت لمئة شاعر كنتي، بين دفتي ديوان الصحراء الكبرىٰ: المدرسة الكنتية، حسب مجهود فردي عظيم قام به مؤلفه[3].

فمثلا، **يشمل الشعر** والأدب: **سيدي ولد آدب**، و**أخوته الثلاثة**: محمد لحوار، وسيد مُحمد، والشيخ أحمد، و**أبوه** عبد القادر (**آدب**) **شاعر** وناثر بارع، و**أمه**: السعيدة بنت ألمين الجيد البوسيفية **شاعرة** عالمة، **وأخوه من أمه** السعيدة: محمد بن أحمد انبسيف، أديب شاعر، **وأخته منها**: أينات بنت أحمد انبسيف **شاعرة** وعالمة، وأبوهما، زوج السعيدة – قبل آدب– **شاعر** عالم أديب، **وعَمَّا سِيديَ بن آدب**: محمد ويقي، والشيخ، **شاعران** عالمان مربيان أديبان، **وأبوهم جميعا سيد الأمين** بن أمحمد بن الطالب اعمر بن خيري، **قاضي الجماعة، وفارسها، ويقول الشعر** أيضا، **وأخو سيد الأمين** المختار بن أمحمد **شاعر**، **وابنا أخيه هذا**: محمد، وأحمد ابني المختار، **شاعران** أيضا، **وابن عمهما احمد بوّ** بن محمد بن أمحمد بن الطلب اعمر بن خيري **شاعر** كذلك، **وأولاد بوسيف الخضر** بطن الجميع، **يروى** أن **أربعين فارسا** منهم – ذات حملة عسكرية– ارتجلوا **قصيدة جماعية** من أربعين بيتا، **وعلى ضوء تتبع** هذه الجينات الأدبية يكون المستغرب حقا أن لا يكون الشيخ أحمد قطب الشعراء.

---

[1]– الشعر العربي الفصيح في بلاد شنقيط، مبحث النشأة والأصول، ولد ابن احميدة، عبد الله، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، 2008م، ص 166.

[2]– إبراهيم ولد مولود ولد داداه: **مختارات شعرية من غنا البيظان**، ص 02.

[3]– الأستاذ يحي بن سيد أحمد: **ديوان الصحراء الكبرى**: المدرسة الكنتية والقصائد النيرات، ط دار المعرفة، الجزائر، 2009م.

2- مقوماتها الفنية

إن هذه **"القطبية الشعرية"**، التي وصفت بها **الشيخ أحمد بن آدب** في العنوان، **ليست** مجرد عطف جزافي على **مشيختيه** الروحية والسياسية، بل هي **مشيخة شعرية**، متعالقة - حقا- مع سابقيّتها، ومُتفاعَلة معهما، ولها **مُسَوغاتها، الوراثية، والكمية والمضمونية والشكلية**؛ حيث كان **الشيخ أحمد** صاحب **أكبر ديوان** ضمن هذه السلالة **الكنتية** البوسيفية الشاعرة، وضمن بيت قصيدها: (**أهل آدب**)، فقد احتفظت له الذاكرة بنصوص كثيرة، **ناهزت** مختاراتنا منها **أربعين** نصا.

وقد تقاسمت **مضمونها** أغراض عديدة، يمكن اختزالها في **جدلية: الفتوة والتصوف**، التي تختزل -هي الأخرى- ثنائية: **"الشيخين" الروحي، والاجتماعي**، وبما أن **شيخ الشعر والشعراء** له **سلطة** في مجاله، تشبه سطلة **"الشيخين"** الآخرين في مجالهما، فقد كان **الشيخ أحمد** متحكما في **توزيع مضامين شعره** - بعدالة- بين **الفتوة والتصوف**، بين **الدين والدنيا**، بين **النفس والروح** بتقابلهما الصوفي، فتجده مثلا **يبدأ** القصيدة **غزلية**، ثم **يتخلص** بها إلى **المديح النبوي**، أو يختمها بإعلان التوبة والإنابة إلى الله، وتأنيب الضمير على التقصير، تجسيدا لتفاعلات النفسين: **الأمَّارة واللوَّامة**، في **مكابدات** الإنسان الشاعر **الفتى** النزاع إلى الجمال من جهة، **والمتصوف** - أيضا- المُرَوِّض لنفسه وهواه، الساعي للارتقاء بالروح عن طينية الجسد المُخْلِدَة به إلى الأرض.

فمن **أمثلة تخلصاته** التي تعتبر - بلغة الطيران- هبوطا ناجحا في مدارج الروح الديني، بعد إقلاع بعيد التحليق في جو الحب والغزل، قوله بعد طول تَدَلُّهٍ:

وما شوْقِي لذاتِ الخالِ: ليْلَى ولا لُبْنَى ومَيّة الاثْنَتَانِ
ولا دعْدا هويتُ، ولا سُعادا ولا مَيْلَاء، ترْفلُ، في ازْدِيانِ

ولَا شَـــوْقِي لكاظِمـــةٍ وسَـــلْعٍ ورامَـــة والعُـــذيْب الأبْلقـــان[1]
ولا بـــالبيضِ كـــانَ لِيَّ ادِّكـــارٌ ولا أنـــا بالمَغـــاني الزُّهْـــر غـــان
ولا أبْكـــي عـــلى طلـــل، ومَغْنـــى ومـــالي بـــالطلولِ، وبالمَغـــاني؟
ولا حُـــبُّ الرُّبُـــوع وســـاكنِيها ولكـــنْ حُـــبَّ أمْمَـــدَ قـــدْ سَـــبَانِي[2]

ومن هذا القبيل قوله متغزلا:

وظبْيٍ، كحِيلِ الطرْفِ، والحُسْنُ عَمَّهُ أبـــانَ وِصـــالي مـــذ دَعـــانِيَّ: عَمَّـــهُ
فـــزادَ غرامـــي فيـــه أنْ زادَ في الجفـــا وقلبِي -بطول الهَجْر- ضاعفَ غمَّـه
وَخـــبَّرَنِي: ألَّا ســـبيلَ إلى اللِّقـــا فَلـــمَّا وعَـــى سَـــمْعِي المَقـــالَ أصـــمَّهُ
فبـــتُّ بشـــوْقٍ، لـــوْ يُصَـــبُّ قَلِيلُـــهُ علَى الصخَر الصيْخُودِ، صـــدَّعَ صُـــمَّهُ

ثم تخلص:

وإنْ أسْعدتْ سُعْدى، وسُعْداكَ قدْ قَلَتْ فبَحْر النَّدَى، نُور الهُدَى، البَدْر، أَمَّـهُ[3]

وكذلك قوله:

عبْدٌ عَـلَا الشـيْبُ فَوْدَيْـهِ ومـا كتمَـهْ لـــو كـــانَ يُمْكِنُـــهُ كتْمانُـــهُ كتَمَـــهْ
بـــلْ لا بَقَـــاءَ لليْـــلٍ كـــانَ حَادِيَـــه صـــبْحٌ مُنـــيرٌ عليْـــهِ نـــاشرٌ عَلَمَـــهْ
لَّـــا رأى البِـــيضُ بِيضًـــا في مَفارِقِـــهِ أبَـــيْنَ تَكْلِيمَـــهُ والسُّـــقْمُ قـــدْ كَلَمَـــهْ
وكُـــنَّ، إنْ زارَ، أو إنْ رِيءَ، مِـــنْ بُعُـــدٍ يُعْوِلْنَ، مِنْ شَغَفٍ، يُعْلِـــنَّ: وَا سَـــقَمَهْ
البِيضُ يُنْكِرْنَ مَا قد كان مِنْكَ، فخُضْ بَحْـــرَ السُّـــلُوِّ، وَذَرْ مـــا كُنْـــتَ مُغْتَنِمَـــهْ
وابْكِ الشبابَ، ووصْلُ البِيضِ مَأْتَمُـــهُ أقِمْهُ - وَيْكَ- وَخَلِّ العَيْنَ مُنْسَـــجِمَهْ

---

[1]- على لغة "إن هذان لساحران".

[2]- **ازْدِيان**: ازدان: تجمل وتحسن وتزين.

[3]- **عَمَّهُ**: عم: شمله. **الجفا**: الغلظ والقسوة والبعد. **الصيْخُودِ**: صخر لا تعمل فيه المعاول.

بل بالبكـاءِ أحَـقُّ الـذنْب، فابْـكِ لـهُ وعَدِّ عـمَّا مــضَى، لا ترْتكِـبْ زِيَمَـهْ[1]
نُـحْ نـوْحَ أمِّ وَحِيـدٍ إذْ تصـابُ بـه ودَمْعكَ، الدَّهْرَ، منه اسْتَمْطِرَنْ دِيَمَـهْ

وختام تَخَلُّصاتِه الجميلة من **الغزلي النسوي**، إلى **المديح النبوي**، قوله بعد حوار متقن فنيا:

فقالتْ: أذُقْتَ البَرْدَ، مِنْ بَعْـدِ بَيْننـا؟ فقلـتُ: حَمَـى عيْنـي تشـوُّقِكِ الـبَرْدا
فقالتْ: على مَا فيكَ منْ لاعِجِ الهـوَى أراكَ تَشَكَّى الـبَرْدَ؟ قلـتُ لهـا الـبَرْدا
فقالتْ: فبُرْدِي مِنْهُ، يـا حِـبُّ، واقِيـا أأنْتَ تُحِبُّ الـبُرْدَ؟ قلـتُ لهـا: الـبُرْدا
وقلـتُ: فهـاتِي الـبُرْدَ، قالـتْ مُجيبَـةً: أتطْمعُ رِفْـدًا؟ نَحْـنُ لا نَبْـذُلُ الرِّفْـدَا
مَواعيــدُنا زُورٌ، وكــمْ غَــرَّ قوْلُنــا أخَا الرُّشْدِ، حتَّى صارَ لا يَعْرِفُ الرُّشْدا
وكمْ عاشقٍ يَبْغِي الوِصالَ قضى أسًى إذا ظــنَّ قُرْبــا يَسْــتَحِيلُ لــهُ بُعْــدا
فقلـتُ لهـا مــنْ بعْـدِ ضَــنٍّ بنيْلِهـا: فليْتِــكِ لُقِّنْــتَ السَّــمَاحَة، والمَجْــدا
مــن أكْــرَمِ خلْــقِ اللهِ، أطْوَلِــهِ يَــدا ومن هو -في بذْلِ النَّدَى- قدْ غدا فرْدا[2]

أما **شكل تجربته الشعرية** فقد اتسم بطوابع **المدرسة البديعة**، التي تتطلب تقنيات محسناتها اللفظية والمعنوية امتلاك ثَرْوة لغوية، تتيح التلاعب بتصاديات الطباقات، والمقابلات، وردّ العجُز على الصدر، والجناسات، وكل ما هنالك من "التزام ما لا يلزم"، فهناك **نتف شعرية**، يخيل للقارئ أحيانا أنها إنما **كتبت** من أجل **الجناس** في حد ذاته، مثل:

هل مِنَ كَمِيٍّ "يُكَمِّي" مُدْنفًا "تَارِي لاقَــى الهُمُــومَ بأشْــفَاعٍ، وأوْتَــارِ؟
وَلا مُــــؤَنِّسَ يلْقَــــاهُ يُؤَنِّسُــــه لا مِـنْ قـريضٍ، وَلَا تَحْريـكِ أوْتَـارِ[3]

---

[1]- **كَلَمَه**: جرحه. **أبَيْنَ**: رفضن. **يُعْوِلْنَ**: يصرخن. **السُّلُوّ**: النسيان.
[2]- **يَسْتَحِيل**: يتحوَّلُ.
[3]- **كَمِيٍّ**: لابس السلاح.

ومثل:

إنَّ الـــــــذينَ ترَحَّلُـــــــوا نزلـــــوا بعـــــيْنٍ ســـــاهِرَهْ
أنْـــــــزَلْتُهمْ في مُقْلَتِـــــــي فـــــإذا هُـــــمُ بِالسَّـــــاهِرَهْ

ومثل:

قـــل- للـــذي منـــع العيـــونَ منامَهـــا والقلـــبُ ذو شَـــغَفٍ بـــه: مـــا أنْصَـــفا
واللهِ، إنِّي إنْ أراهُ، أو آتِـــــــــهِ لَكَمِثْـــلِ ذِي ظَمَـــأٍ، رأى مـــاءً، صَـــفَا

ومثل:

عَبْـــدٌ سَـــفِيهٌ، كفَـــاهُ اليـــوْمَ أنْ بَاعَـــا بـــاقٍ بفـــانٍ، يَظُـــنُّ الـــرِبْحَ، فانْبَاعَـــا
أطاعَ نفْسًا لُجُوجًـا في الهـوى جَمَحَـتْ مَنْ يُعْطِهَـا الشِّـبْرَ تَأْخُـذْ عنْـوَةً بَاعَـا
إبْلِيسُ، دُنْيَا، هَوًى، نفْسٌ لـه خَبُثَـتْ قَسَّـــمْنَهُ بيْـــنَهُنَّ اليَـــوْمَ أرْبَاعَـــا[1]

ولعل هذه القطعة الآتية هي أكبر نص بناه الشيخ أحمد بالكامل على تجنيس القوافي، ملتزما ما لا يلزم في وحدة صوتية كبيرة، تفيض حروفها الملتزمة عن الحد العروضي للقافية، هي (آديني)، المرتبطة بجذر الدين العميق في نفسه، والتي تكررت في القوافي الخمس:

شـوْقِي لَـنْ شـوْقُه قـد كـاد يُرْدِينِـي دِينِـي وَهُـوَّ عـلَى طُـولِ المَـدَى دِينِـي
إنْ قُمْـتُ قَـامَ هَـوَاهُ فِي مُسـاعَدَتِي أوْ نِمْـتُ أيْقَظَنِـي جهْـرًا يُنَـادِينِي
قلبـي ميـادينُ فِكْـرِي فيـه ضَـلَّ بهـا واهًـا لضـلَّةِ قلْبـي في الميـادينِ
يا ليْـت شـعْري مَـنْ بـالهجْر عـذَّبَني دَأْبًـا يُرَاوِحُنِـي مِنْـه يُغـادِيني
إنْ غِبْتُ عنْ ذِكْرِهِ.. هلْ هُوَ يَـذْكُرُنِي أوْ متُّ- فِي حُبِّه- هلْ هُـو وَادِينـي؟[2]

[1]- جَمَحَتْ: (الفرس) رفضت السير بالرغم من إلحاح صاحبها.
[2]- دَأْبًا: دواما. يُرَاوِحُني: يأتي إلي وقت الرواح. يُغاديني: يأتي إلي وقت الغداة.

لكن **هناك جناسات أخرى**، يتلاعب بها **الشيخ أحمد**، في تدرج عمودي من الأعلى إلى الأسفل.. غير أنه يجعل تسلسلها في القصيدة الموحدة القافية، **مَثْنى مَثْنى**، بحيث تشترك كل قافيتي بيتين من النص في جناس مستقل يوحد بينهما، فمثلا قصيدة:

سَوْقُ القريضِ، إلى آسي المَريض وذي ... الجاهِ العَريضِ، به جبْرُ المَهيضِ بَدَا
دُنْيَا لـه حَصَلَتْ، فِي قلْبِهِ سَفُلَتْ ... إذا العُدَاةُ أَتَتْ، تَبْقى بَدَادِ بَدَا[1]

فهذان البيتان: ازدوجا في قافيتي(بدا- بدا)، بينما ازدوجت مثاني الأبيات الموالية كلها في جناسات قوافيها كما يلي: (وجدا- وجدا) - (وردا- وردى) - (وعدا- وعدا)- (ولدا- ولدى) - (غدا-غدا).

وعلى نفس النسق الازدواجي في جناسات قوافي مثاني الأبيات بنى الشيخ أحمد قصيدته، مثل قوله:

أَلَا مَنْ لصَبٍّ هائمِ القلْبِ مَلَّه ... أحِبَّاؤهُ؟ يا ليْتَ شِعْرِيَ مَن لَهُ

بإضغام النون في لام له. وقد اتبع هذه التقنية، ولكن بشكل جزئي، في قصيدته النونية من الكامل:

قَرَحَ الحَمَامُ بأدْمُعِي أجْفَانِي ... بفُنُونِ ألْحَانٍ على أفْنَانِ
ففنيتُ إذْ أفْنَي العَزاءَ بشدْوهِ ... ما للحَمَام بشدْوه أفْنَاني
وَعَلَى الغَضَى مُتَرَنِّمًا إذْ جَمْرُهُ ... يُذْكِي الأضالِعَ، وَهْوَ في الأغْصَانِ
وغَدَا يُطارِحُنِي البكاءَ، وإلْفُهُ ... دَانٍ، وإلْفِي - عنْوَة- أقْصَاني
فكَأَنَّنِي ببُكائِهِ أوْصَيْتُه ... وَكَأَنَّهُ- ببُكائِه- أوْصَانِي
ما إنْ لنا من ألْفَةٍ وتفاهُمٍ ... بل نَحْنُ - منْ برْحِ الجَوَى- إلْفَانِ

[1]- بَدَادِ: متفرق متبدد.

يـا قلـبُ، مـا لـكَ وَالحَـمَامَ وَأَرْبُعَـا لعِـبَ الزمـانُ بأَهْلِهَـا فِي الفَـانِي[1]؟

أما **الجناسات الأفقية** الاتجاه، فتتمثل في **جناس التصريع** في **مطالع** قصائده: مثل قصيدته:

وظبْيٍ، كحِيلِ الطرْفِ، والحُسْنُ عَمَّهُ أبـانَ وِصـالي مـذ دَعـانِيَّ: عَمَّـهُ

وقصيدته:

أبِالقلْـبِ تَـذْكارُ الأحِـبَّةِ؟ أوْبِـهِ هَـوًى قَاتِـلٌ فِي سَـيْرِهِ قبْـلَ أوْبِـهِ؟

وقصيدته:

أَلَا مَـنْ لصَـبٍّ هـائمِ القلْـبِ مَلَّـه أحِبَّـاؤُهُ؟ يـا ليْـتَ شِـعْرِيَ مَـن لَـهُ؟

وقصيدته:

ثَوَيْـتَ بـأَرْضٍ، لا نَجَـاةَ ولا أَمْنَـا لثاوٍ بها، والرَّكْبُ- ويْحَكَ- قدْ أَمْنى[2]

وقصيدته:

إذا جئت وحدي البيت أو جئت في جمع وعاينْـتُ مَـا بـيْنَ المَقَـامِ إلى جَمْـعِ

وهناك **نوع آخر من هذه الجناسات الأفقية**، لا يتموقع في نهايتي الشطر الأول، والشطر الثاني في التصريعات، بقدر ما **يتكثف موضعيا مقترنا بالقوافي النهائية**؛ حيث **يصطنع قافيتين أفقيتين** في نهاية كل بيت، **أخراهما** ترجيع لصدى **أولاهما**، تكثيفا لإيقاعات القوافي، ومثاله:

ليـالي البِـيض تُزْهُـرِ مُقْمِـرَات وزِيـرِي طيِّـبِ الأرْدَانِ دَانِي

---

[1]- **الغَضَى**: شجرٌ من الأَثْل خشبُه من أَصلب الخشب، وجمره يبقى زمانا طويلاً لا ينطفئ.

[2]- **ثَوَيْت**: ثوى بالمكان أقام به واستقر. **أمنى**: أتى مشعر "منى" في الحج.

ليـــالي الوصـــل رانيـــةٌ إليْنـــا ومَـــنْ أهْـــوَى مـــنَ الأقْـــرَانِ رانِي
فأذْرَيْـتُ الـدموعَ، ونُحْـتُ، حتَّـى غَـدَا دَمْعِـي- مـن الأجْفَـانِ- فـاني
تَـــلَاهُ دَمُ العُيـــونِ، كـــأُرْجُوَانٍ لـــه الأخْـــدُودُ، بالأذْقـــانِ قـــانِي
ألا يـــا حِـــبُّ، إنَّ القلْـــبَ صـــالٍ كَمِـــيمَ الشَّـــوْقِ في ذا الآنِ آنِ
فـــأذْعَنَ للغَـــرامِ عـــلى خُشـــوعٍ تَعَـــدَّى رُتْبَـــةَ الإذْعَـــانِ عَـــانِ[1]

وكل هذه **الجناسات** التي **تُرَصِّعُ** جسد ونسيج **نصوص الشيخ أحمد،** عموديا وأفقيا، **تدخل**-أيضا- في **ظاهرتي رد العجز** على الصدر، و"لزوم مالا يلزم"، اللتين لا يتجشمها من الشعراء والأدباء إلا الذين يمتلكون ثروة لغوية وافرة، وقدرة نظمية متمرسة.

ومن **مظاهر القطبية الشعرية**- على **المستوى الأسلوبي**- لدى **الشيخ أحمد،** إتقانه ببراعة للعبة **الحوار الغزلي الشعري،** في إحدى روائعه، مستعينا فيها ببعض تلك الفنيات البديعة، مثل: **"رد العجز على الصدر"**، المساعد على ترتيب بنية الأجوبة على بنية الأسئلة، ولو عبْر جدلية **الصوت**/ "هند"، **الصدى**/ "الشاعر"، المُرَجّع في إجاباته لأصداء جوهر تساؤلاتها، تعبيرا عن الموافقة التلقائية المتلهفة المختصرة الحاسمة على جُلِّ عُروضها المُمَنِّية المُشوِّقة. يقول في مقتبس من دالية من الطويل:

وبرْقٍ، شرى، وهْنا؛ فأغْرَى بيَ الوجْـدا يَلوحُ، على نجْد، ومن سـكنوا نجْـدا
فقالتْ: حفظْتَ العَهْدَ؟ قلتُ لها: نعـمْ حفظتُ، على ما كانَ، منْكِ، لكِ، العَهْدا
فقالتْ: بمَغْنانـا مـررْتَ؛ فهـل تـرى به العهْدَ وكَّافا؟ فقلتُ: أرَى العهْـدا
فقالتْ: أجُزْتَ الأبْلقَ الفـرْدَ باكيـا؟ فقلتُ لها: دمْعي سقَى الأبْلَـقَ الفـرْدا
فقالتْ: ذكَرْتَ الخَدَّ، والنَّهْدَ، عِنْـدَه؟ فقلتُ: حَـرٍ أنْ أذْكُـرَ الخَـدَّ، والنَّهْـدا

[1]- **رانيةٌ**: مديمة النظر إعجابا. **أذْعَنَ**: انقاد له وخضع. **العاني**: الذليل، ومعناها الأسير أيضا.

فقالتْ: بلغْتَ الجَهْدَ منْ شِدَّة البُكـا؟ فقلْتُ: جَـديرٌ، ثَـمَّ، أنْ أبْلُـغَ الجَهْـدا
فقالتْ: على مَا فيكَ منْ لاعِجِ الهـوَى أراكَ تَشَكَّى البَرْدَ؟ قلـتُ لهـا: الـبَرْدا
فقالتْ: فبُرْدِي مِنْهُ، يـا حِـبُّ، واقِيـا أأنْتَ تُحِبُّ الـبُرْدَ؟ قلـتُ لهـا: الـبُرْدا
وقلـتُ: فهـاتِي الـبُرْدَ، قالـتْ مُجيبَـةً: أتطْمعُ رِفْـدًا؟ نَحْـنُ لا نَبْـذُلُ الرِّفْـدَا
مَواعيــدُنا زُورٌ، وكــمْ غَــرَّ قوْلُنــا أخَا الرُّشْدِ، حتَّى صارَ لا يَعْرِفُ الرُّشْدا[1]

3- قطب الشعراء ومدار المشاعرات

وتتجلى **مشيخة الشيخ أحمد الشعرية** أيضا - في **بعدها الاجتماعي**- من خلال **مشاعراته الكثيرة**، التي تمتد **خارج فضائه الاجتماعي** الضيق، إلى **فضاءات قبلية وجغرافية متعددة**، متسمة ببصمة الودِّية المُطْلَقَةِ، والبعد عن المنافرات والمهاترات، إذ كان هو **قطب بريدها** الذي يتوافد إليه **واردها** بالمحبة والتقدير، ومنه ينطلق **صادِرُها** ردا بالمثل وأكثر، وذلك ما يعنى أن **الشعر** أصبح - داخل **"بيت القصيد"** هذا - **وحضرة الشعر والشعراء** تلك- هو **لغة التداول** المحببة، ولسان المراسلات المهيمن، وخطاب الحب والحماسة، **وله** في ذلك **سلف وموروثات متأصلة**، فـ**"القصيدة الأربعينة"** الآنفة الذكر، مثال **للمشاعرة البوسيفية الخضراء** عموما، ففيها تساجَل أربعون فارسا من الشعراء يبثون روح الحماسة بينهم لخوض معركة مصيرية بالنسبة إليهم، و**الوالد "آدب"** نفسه رأيناه يساجل **الحامد بن امَّيْنُوه** خلال لحظة توديع مخلدة، و**"سيديَّ"** ساجل والده **"آدب"** بطريقة غير مباشرة، إذ خمَّسَ إحْدى قصائده، **فتداخلت شاعريتا الوالد والابن** في نسيج نص واحد مشترك بينهما، كما أنه **تبادل الشعر** مع مضيفه في حضرة أهل الشيخ سيدي المختار الكنتي بأزواد، في لحظة توديع أيضا، أما **الشيخ أحمد** فقد استقبل- منذ صرخة ميلاده- هدهدات والده **"آدب"** بالشعر في مَهْده،

[1]- **شرى**: (البرق) تتابع لمعانه. **والوَهْنُ**: نحوُ نصف الليل أَو بعدَ ساعةٍ منه. **وكَّافا**: الوكاف من المطر المنهمر حَرٍ: جدير وخليق وحقيق.

وتلقَّىٰ "تربية" أخِيه وشيخه **سيديَّ** عبر **سجال شعري** متكرر بينهما خلال فتوته، كان فيه الخطاب الشعري التربوي من سيدي للشيخ أحمد بمثابة الخطاب النثري في كتابي: **"جنة المُريد دون المَريد"**، و**"إرشاد السالك لأقوم المسالك"**، اللذين ألفهما **الشيخ سيدي محمد** لتلميذيه الأقربين: **الشيخ سيدي** الأنتشائي، و**محمد ويقي** بن سيد الأمين البوسيفي **عم أبناء آدب**، كما أن **الشيخ أحمد** أيضا بجَّلَه **أخوه** الآخر **محمد الحوار** بالشعر، وترضَّاه واعْترف له بالخلافة "الآدبيَّة".. ربما في **حوار شعري** ضاع أحد طرفيه، وشواهد هذه **المشاعرات العائلية** قد تقدم بعضها، ولا داعي لتكرارها هنا.

وغير بعيد عن هذا الإطار العائلي، **هناك مشاعرات بينه وبين** تلميذه وصهره: **الجيلي** بن أحمد انبسيف، كانت إحداها حول **مجالس الشاي**، أدرجتها تحت عنوان: جدل **السلوى والتقوى**، في مقال لي منشور حول الشاي في الشعر الموريتاني، ومن مفارقات ما يلاحظ هنا أن **الشيخ** يُغَلِّبُ فيها **جانبَ التبسُّط**، ويرجو من الله العفو والسلامة في التَّنَعُّم بها، بينما **التلميذ** يُغلِّبُ **جانبَ الانقباض**، وإن كان يستبيحها في النهاية ما لم يحرمها الشرع، يقول **الشيح أحمد بن آدب**:

وكـــاسٍ بـــماءِ رنَّحَتْـــه غمامـــة عـــلى كـــل فـــرْدٍ منْـــه تبْـــدو عِمَامَـــة

ويقول الجيلي بن أحمد انبسيف:

لـئنْ كـانَ مـن صـافِي الأتَـاءِ سَـلامَة لَمَـنْ همُّـه التَّقْـوَى فتْلـك الكرامـة

وهناك عدة مشاعرات أخرىٰ **بينه** وابن عمه: الشاعر العالم: **محمد بن الدي**؛ حفيد أحمد بن سيد الأمين شقيق عبد القادر "آدب"، حيث يعاتب **الشيخ أحمد** قريبه:

خلـيلي، مـا للأقْـرَبينَ بَـدَا الصَّـدُّ لنا منْهمُ في الضِّيقِ، وانْمَحَـقَ الـوُدُّ؟

فيــوْمِي ولَــيْلِي في السَّــعِيرِ ولفْحِــه ويلهـيهمُ عـن وصْـليَ الخَـدُّ والقـدُّ[1]

ويرد عليه محمد بن الدي:

لحـا اللهُ خُـلَّاطَ النميمـة، كـم جَّـدُوا ليبْعـدَ منّـا العـمُّ، والأبُ، والجَـدُّ!
فلوْلا الـرواسِي مـن شـوامِخ حِلْمِـه لبـانوا بـه، حيـث انْتَهَـى بهـمُ البُعْـدُ

وهناك مشاعرات كثيرة بين **الشيخ أحمد**، و**محمد بن باب** بن باب أحمد **بن الشيخ سيدي المختار** الكنتي، الذي احتفي **الشيخ أحمد** بمقدمه، وبالغ في إكرامه، وعندما غادره في جولته التي انتهت به إلى حضرة أهل الشيخ سيدي، كان حبل الوصل الشعري بينهما متصلا عن طريق المراسلات، مثل قول **محمد بن باب**:

إلى بـــدْر الـــتّمامِ مـــن الأنـــامِ وكنْـــز السِّـــرِّ مـــن أبْنَـــاءِ ســـام
لجـــوْهرةِ المعـــالي والمعـــاني وشِنْشِـــنَةَ الـــترَؤُس والتســـامي
خلفيـــة مَـــنْ تقـــدَّمَ مـــنْ كِـــرَامِ كـــرام مـــنْ كـــرامٍ مـــنْ كـــرامِ
ســـلامٌ فـــاقَ أنْـــوارَ الـــلَّآلي وفـــاقَ مَذاقـــهُ طعْـــمَ المـــدامِ
عليْـــكَ مُكـــرَّرا، ألفـــيْ ســـلامٍ ســـلام في ســـلامٍ في ســـلامِ[2]

وكان جواب **الشيخ أحمد**:

ألا يـــا راكبـــا يطْـــوي المَـــوامِي بخُـــوصٍ في الفَدافِـــدِ كالســـهامِ
إذا جئـــتَ الإمـــامَ فأبْلِغَنْـــهُ ســـلاما في سَـــلامٍ في سَـــلَامِ
ســلاما مــن طلــوع الشــمْس أحْــلى وأحْـــلى مـــنْ مُشَعْشَـــعَةِ المـــدام
ســلاما مــن مَشــوق القلْــب تُحْنَــى أضـــالعُه عـــلى جمْـــرِ الغـــرَام

[1]- **الصَّدُّ**: المنع والصرف والردع.
[2]- شِنْشِنَة: عادة غالبة.

وبعْـــد فـــإنَّ قلْبِـــي ذُو اشْـــتِياقٍ ودمْعِـــي بعْـــدَ بُعْـــدكَ فِي انْسِـــجَامِ
أرَى ليْـــلَ السّـــليم كمِثْـــلِ لـــيْلِي فجَفْنـــي لا يُواصِـــلُهُ مَنـــامِي
ويـــوْمِي حَالِـــكٌ، والحـــالُ منِّـــي هُيـــامٌ فِي هُيـــامٍ فِي هُيَـــامِ
وشـــوْقي وانْتِحـــابي واكتئـــابي ســـقامٌ فِي ســـقامٍ فِي ســـقامِ
مُحَمَّـــدُ ذو المَفَـــاخِرِ هـــو ذُخْـــرِي وأنْســـي فِي التحـــرُّكِ والمُقـــامِ
إمَـــامٌ مـــن إمـــامٍ مـــن إمـــامٍ هُمَـــامٍ مـــنْ هُمَـــامٍ مـــنْ هُمَـــامِ[1]

وعندما رجع **محمد** إلى **الشيخ أحمد** كان السلام والترحيب بينهما سجالا شعريا مباشرا، فقال **الشيخ أحمد**:

أهْـــلا بمقـــدمكمْ إذ كـــانَ مـــا كانـــا من طُول غيْبـتكمْ فـالأوْبُ هـا حانـا
أهْـــلا بحارســـنا أهْـــلا برائســـنا أهْـــلا بسائســـنا سِرًّا وإعْلانـــا[2]

فقال **محمد بن باب**:

أهْـــلا بقـــرْم هُمَـــام ســـيد بطـــل صـــافي المـــودة نهْـــواه ويهْوانـــا[3]

فقال **الشيخ أحمد**:

أهْلا بمنْ فضْـلُه في الخلْـق شـاعَ وذا عَ.. اللهُ يرْفعُـــه عـــن ذاك مَوْلانـــا

فقال **محمد بن باب**:

أهْـلا بمـنْ قـد سـقتهُ سـادةٌ عُظَـمَا عـــذبا زُلالا يَفـــوقُ خمْـــرَ بيْســـانا

---

[1]- **المَوامِي**: جمع موماة المفازة الواسعة. **الفَدافِد**: جمع الفَدْفَد: الأرضُ الواسعة المستويةُ لا شيءَ بها. **حَالِكٌ**: شديد الظلمة والسواد. **هُيامٌ**: الجنون من العشق. **ذُخْرِي**: ما يذخره الإنسان ويحتفظ به لوقت الحاجة.

[2]- **الأوْبُ**: الرجوع والعودة، وتعني أيضا السير طول النهار حتى الليل.

[3]- **القَرْمُ**: الفحل.

فقال **الشيخ أحمد**:

فالحمـــد لله مولانـــا وســـيدنا قـــد زارنـــا بعـــد منـــآه ومنآنـــا
لما مَضَـى ما مضَـى مـن بيْنـه ونَـآى يا ليْتَنِي كنتْ قبْـل اليـوْم "دهْمَانـا"[1]

فقال **محمد بن باب**:

إذا تقاربـــتِ الأفْهـــامُ واتَّســـقتْ تُغْنِـي عـنِ القـرْبِ حِسًّـا أيْـنَما كانـا

وكما وجدنا **مشاعرة** مختصرة **بين الحامد** بن امَّيْنوه، وعبد القادر **"آدب"** بن سيد الأمين، وجدنا كذلك نفس المصادقة والمشاعرة **ورثها ابناهما: محمد بن الحامد** من علماء وأدباء أولاد سيدي الوافي، والشيخ أحمد **بن آدب**، فقد قال الأول للثاني:

أما – والذي أوْلاكَ من كلِّ ما ترضى- شـمائلَ، أعْيَـا نيْلُهـا الكـلَّ والبَعْضَـا
لقـد سَرَّنَـا منْـك القُـدومُ مَسَـرَّةً يوازي لذيذَ البسْط، من طيبها القبْضا
ونبَّـهَ مِنَّـا أعْيُنًـا طـالَ غمْضُـها فأضْحَتْ بِمَحْضِ البشْر، لا تَألَفُ الغمْضا
شـمائلك العليـا شـمائل منتـه تبـوَّأهُ.. للفضْـل.. مالكُـه.. الأرْضى
فـأرْضَى بـه أهـلَ المَسـائلِ حجـة وأرْضَى بِـه أهْـلَ الصَّـبابةِ والمَـرْضى[2]

فأجابه الشيخ أحمد، وكأنه يومي إلى ميراث المودة، والشاعرية، المنحدر إليهما من أبويهما:

بحبك، قد غُذِّيتُ، ذا الخُلَقِ الأرْضى وذا الحق، بالحق الصراح، ألا فارْضى
ومـن بعـد علـم الله، فأعـام بـأنني محبتُـكَ العليـا، أديـنُ بهـا فرْضـا
إذا عَـنّ أمْـرٌ في العَشـيرةِ داهِـمٌ فأنْتَ الذي أدْرَى، وأنْتَ الذِي أقْضى

---

[1]– منآه: بُعده.

[2]– تبوَّأهُ: أصلحه وهيأه.

فـنقْضٌ، وإبْـرامٌ- بـلاك- مُخَيَّـبٌ فإن لك الإبرامَ - في الأمْر- والنقضا
فضـائلكمْ عمَّـتْ، فللـه دركـمْ وتَمَّتْ؛ فما تزدادُ؛ طـولا، ولا عَرْضا[1]

وهناك مشاعرات أخرى متعددة بينه وبين الشاعر العلوي المفلق: محمد عبد الله **بن عبيد الرحمن**، منها قول هذا الشاعر:

وقـوفُ الصـبِّ بالطَّلَـلِ المُحيـلِ ووشْـكُ نـوَى الأحِبَّـةِ والرَّحيـل
وإيـماضُ الـبُرُوقِ عـلى مغـاني ألَاتِ النَّخْـل، غـرْبِيَّ النَّخيـلِ
وإيـماءُ الغَـزَالِ، وقـدْ توَلَّـتْ مَطايـا البَـيْن، بـالطرْف الكَحيـلِ[2]

إلى أن يتخلص بقوله:

أأحْمَـدُ، إنْ دَنَـوْتَ، فـلا أبُـالي بفَقْـدِي كـلَّ ذي نَبَـهٍ نَبِيـلِ[3]

وكان رد **الشيخ أحمد**:

عيُـونُ العـيْنِ إبَّـانَ الرَّحِيـلِ تَكَلَّـمُ بالضَّـمِيرِ بغـيْرِ قِيـلِ
جِمـالُ البـيْن جافلـة تَبَـارَى لَهَـا الكَسْـرُ المُبَـدَّدُ مـنْ كَهِيـلِ!

إلى أن يتخلَّصَ بقوله:

وقفـتُ بـدُورهمْ أبْكـي اشـتياقا ومـن فـرْط البكـاءِ بكـى زَمـيلي
فـإنْ تـكُ في المَحَبَّـةِ لي زمـيلا وعَنِّـي لـيْسَ عِنْـدَكَ مـن عَـدِيلي
أرِحْنَـا بـالوقُوف بهـا قلـيلا لتبْريـدِ الغليـلِ مـن القليـلِ
مَقِـيلي معْـكَ تنـشرُ لِي عُلومًـا يُـنَبِّي في السـيوطي والمغـيلي[4]

---

[1]- **عَنّ**: لاح وظهر وبدا. **داهِمٌ**: الآتي فجأة وبغتة داهمه غشيه وفاجأه. **بلاك**: بدونك.
[2]- **المُحيل**: الذي أتت عليه أحوال فغيرته. **إيماء**: إشارة. **البَيْن**: الفراق وانقطاع الوصل.
[3]- **نَبَه**: شريف القوم.
[4]- **عَدِيلي**: العديل: النظير.

وأخرى بينه وبين **أدي بن الزين** العلوي أيضا، حين أهدىٰ له كتابا فقال:

يا مَنْ أنارَ الدُّنا، والدِّينَ، إيضاحا ... فصار- للأمْن، والإيمان- مِقْتَاحا
هذا كتابٌ، كرُوحٍ، خامرتْ جَسدا ... بل كارْتياحِ النَّدى، بل يُشْبِهُ الراحا
نرْجُو- من العُدْمِ، والأوْزَار- راحَتَنا ... متى - براحتكمْ- عنوانُه راحا

فأجابه **الشيخ أحمد**:

وافى الكتابُ، ومذْ وافَى- لرؤيته- ... قُمْنا نصفق، أشباحا، وأرواحا
يا حُسْنَه من كِتابٍ؛ لفظه درر ... وريحه عبقٌ -كالمسك- إن فاحا!
فاللهَ أسأله- عفْوا، لكمْ، وغِنًى ... ما كلُّ نذْب إليه جدَّ، وارتاحا
ما ألَّ برقٌ، وما هبت يمانية ... وما المُطَوَّقُ- فوْقَ الأيْكِ- قد ناحا[1]

وهناك **مشاعرة بينه مع بابيهْ ولد أحمد الهادي** سليل أسرة العلم الشهيرة، فقد كان في ضيق ما، فرأىٰ **الشيخ أحمد** في المنام، فاعتبرها إحدىٰ **"المبشرات"**، ففرَّج الله كربه، فسافر إليه مباشرة، وحين زاره، قال:

ثق بالذي كنت ترجوه وتهواه ... فالشيخ أحمد قد عاينت رؤياهُ
وقد نزلت بحمد الله ساحته ... ضيفا وقد صافحت يمناك يُمْناهُ
وقد نظرتَ جَبينا كادَ يُبْصِرُه ... منْ لا يُميز سِيَمَاهُ بسِيماهُ
لولاهُ ما انْكشَفتْ عنْكَ الدّيَاجي، ولا ... تنازَحَ الهمُّ واللأْواءُ، لولاهُ
ولا لقى القلبُ فيْضا عنْد رُؤيَتِهِ ... عنِ الحَبيبِ -وعنْ مغْنَاهُ- أغْنَاهُ[2]

فأجابه **الشيخ أحمد** عند توديعه:

أستودع اللهَ من مرْأى مُحيَّاهُ ... فوْزٌ لمنْ يبْتَغي فوْزًا بمَرْآهُ

---

[1]- **ألَّ**: برق ولمع.

[2]- **تنازَحَ**: بعُد. **اللأْواءُ**: ضيق المعيشة، وتعني أيضا شدة المرض.

وقرْبُــه راحــةٌ مِــنْ كــلِّ مُؤْذِيَــةٍ وحُبَّــهُ سُــلَّمٌ فِي حُــبِّ مَــوْلاهُ
هو الجَدَى، والهُدى، للمُجْتَدِي، ولمن ضــلتْ هــداهُ ولم يُهْنِئْــهُ مسْــعاهُ
وكــانَ وارثَ أجْــدَادٍ وِرَاثَــتُهمْ علْــمُ النّبِــيِّ دَعَــوْا كــلًّا بــدَعْوَاهُ
فهُــمْ أحَــقُّ بِــه مِــنْ غــيْرِهِمْ، وهــمُ أدْرَى بألفاظِــهِ مــنْهمْ ومَعْنَــاهُ
وهــمْ حُمَــاةُ الــذِّمَارِ، المُسْــتَغِيثُ بهــمْ - في الرَّوْعِ- كل ضريكٍ غَابَ مَوْلاهُ
وهمْ جلاءُ صدَى ريْنِ القُلوبِ، وهمْ مَــنْ هُــمْ إذا الأمْــرُ أعْيَــا مــنْ تــوَلَّاهُ[1]

هذه **مجرد نماذج** من **مشاعرات** الشيخ أحمد **بن آدب**، يستبين منها مدى **مركزيته** الاجتماعية، والثقافية، **ومشيخته الشعرية**، وامتدادات محبته وتقديره، وتوسع علاقته الروحية.

وفي **ختام الحديث** عن **مشاعرات الشيخ أحمد بن آدب**، أحبُّ أنْ أقف قليلا عند افتراضي لوجهٍ خَفِيٍّ منْها، يمكن أن أسميه: **مشاعرة النص الغائب**:

حيث **تَكَوَّنَ لديَّ حدْسٌ** أن **الشيخ أحمد** كان **متابعا** جيدا لنبض **الساحة الشعرية** داخل موريتانيا عموما، وخصوصا في منطقة **"القبلة" "عُكاظ"** الشعر الشنقيطي، و**"مِرْبَده"**، حيث **أحسست بظلال نصين غائبين في قصيدتين له** على الأقل، **إحداهما**: القصيدة الخامسة والثلاثون من ديوانه في المديح النبوي:

ألا عَــــوْدًا، لُيَــــيْلَاتِ التــــدَاني فهــا أَنَــا ذا سَــمِيري: الفَرْقَــدَانِ
فعَيْشِــي، بَعْــدَكُنَّ، عــلى اكْتئــابٍ وشَــوْقِيكُنَّ- مــن وَلَــهٍ- بَــرَاني
ليــالي البِــيض تُزْهُــرِ مُقْمِــرَات وزِيــــرِي طيِّــــبِ الأرْدَانِ دَانِ
ليــالي الوصْــلِ رانيــةٌ إلَيْنــا ومَــنْ أهْــوَى مــنَ الأقْــرَانِ رانِ

[1]- **الجَدَى**: العطاء، والمطر العام أيضا. **الذِّمارُ**: ما ينبغي حياطَتُه والذَّوْدُ عنه، كالأهل والعِرْض. **الرَّوْع**: الخوف والفزع. **ضريك**: الفقير البائس. **ريْن**: ما يغطي القلب من الذنوب.

بَكيْتُ، ومَنْ هَوْيْتُ، على جَفَائِي عَزومًا، لا أرَاهُ، ولا يَراني
عَلَى حُبِّيهِ- مَظْلَمَةً- قَلَانِي ودَهْرِي، ما جَفَوْتُ، وقدْ جَفَاني
فأذْرَيْتُ الدموعَ، ونُحْتُ، حتَّى غَدَا دَمْعِي- من الأجْفَانِ- فاني
تَلَاهُ دَمُ العُيونِ، كأُرْجُوَانٍ له الأخْدُودُ، بالأذْقانِ قانِي
ألا يا حِبُّ، إنَّ القلْبَ صالٍ حَمِيمَ الشَّوْقِ في ذا الآنِ آنِ
فأذْعَنَ للغَرامِ على خُشوعٍ تَعَدَّى رُتْبَةَ الإذْعَانِ عَانِ
وما شَوْقِي لذاتِ الخالِ: ليْلَى ولا لُبْنَى ومَيّة الاثْنَتَانِ
ولا دعْدا هويتُ، ولا سُعادا ولا مَيْلَاء، ترْفلُ، في ازْدِيانِ
ولَا شَوْقِي لكاظِمةٍ وسَلْعٍ ورامَة والعُذيْب الأبْلقان
ولا بالبيضِ كانَ لِيَ ادِّكارٌ ولا أنا بالمَغاني الزُّهْر غان
ولا أبْكي على طلل، ومَغْنى ومالي بالطلولِ، وبالمَغاني؟
ولا حُبُّ الرُّبُوع وساكنِيها ولكنْ حُبَّ أحْمَدَ قدْ سَبَانِي
رشيقِ القدِّ، أبْلجَ، ذِي شَطاطٍ يَدِينُ لهُ قضيبُ الخيْزُرانِ
ويُعْشِي الناظرينَ بنُورِ وجْهٍ إنْ أسْفَرَ، ما سُفُورُ الزِّبْرِقَانِ؟
له عَرَقٌ كدُرٍّ إنْ عَلَاهُ عَلَا نَظْمَ الجُمَانِ على الغَوَانِي[1]

فهذا النص ربما كان مشاعرة ضمنية مع نونية الشاعر العالم: **أحمد بن محمد سالم المجلسي** 1891م:

أتذْري عيْنُه فَضَضَ الجُمَانِ غرامًا من تَذَكُّرِه المَغانِي[2]؟

[1] – **الفَرْقدان**: نجمان في السماء لا يغرُبان. **بَرَاني**: أنحفني وأوهنني. **أبْلج**: ظاهر وواضح. **شَطاط**: طول واعْتِدالُ القامةِ، وقيل: حُسن القَوام. **يُعْشِي**: يجعل بصره ضعيفا ليلا. **الزِّبْرِقَان**: البدر ليلة تمامه.

[2] – **الفضض**: (من الشيء) ما تفرق منه، وعشب فضض متفرق ومنتشر.

فهذا **الشاعر أكبر** من الشيخ أحمد 1944م، **وقصيدته أشهرُ**، وأَسْيَرُ، **وحكمي** الانطباعي المتسرع أن **نص المجلسي ألصق بمدرسة الطبع، ونص شاعرنا ألصق بمدرسة الصنعة.**

أما **القصيدة الثانية**، فهي السادسة من ديوان الشيخ أحمد.. الملحق بهذه العجالة:

وبرْقٍ، شرى، وهْنا؛ فأغْرَى بيَ الوجْدا ... يَلوحُ، على نجْد، ومن سكنوا نجْدا
أرِقْتُ له، والقومُ، بالليْل، هُجَّعٌ ... وعيْنايَ ممَّا كانَ آلفَتَا السُّهْدا
وليْلٍ دجَا، أرْخى السُّدولَ مُعَسْعِسًا ... لقِيتُ، على رغْم الرَّقيبِ، به، هِنْدا
فقالتْ: حفظْتَ العَهْدَ؟ قلتُ لها: نعمْ ... حفظتُ، على ما كانَ، منْكِ، لكِ، العَهْدا
فقالتْ: بمَغْنانا مررْتَ؛ فهل ترى ... به العهْدَ وكَّافا؟ فقلتُ: أرَى العهْدا
فقالتْ: أجُزْتَ الأبْلقَ الفرْدَ باكيا؟ ... فقلتُ لها: دمْعي سقَى الأبْلَقَ الفرْدا
فقالتْ: ذكَرْتَ الخَدَّ، والنَّهْدَ، عِنْدَه؟ ... فقلتُ: حَرٍ أنْ أذْكُرَ الخَدَّ، والنَّهْدا
فقالتْ: بلغْتَ الجَهْدَ منْ شِدَّة البُكا؟ ... فقلْتُ: جَديرٌ، ثَمَّ، أنْ أبْلُغَ الجَهْدا
فقالتْ: وجَلْدًا كنْتَ؟ قلتُ: ويَنْفَدَنْ ... تَجَلُّدُ مَنْ قدْ كانَ مُصْطَبِرًا جَلْدا
فقالتْ: نَرَى أنْ لا جُناحَ عَلَى الذي ... بكى الدُّورَ، والأطْلالَ، والزَّمَنَ الرَّغْدا
وقالتْ: بوعْدٍ، قدْ وعَدْتُكَ مَرَّةً ... أأنْجِزَ ذاكَ الوعْدُ؟ قلتُ لها: الوعْدا
فقالتْ: ودَيْن، قد عجِلْتَ تُريدُه ... أأنْتَ تحبُّ النَّقْدَ؟ قلتُ لها: النقْدا
فقالتْ: نرَى منْكَ الدموعَ سوافِحا ... أأبْدَى الهوى ما فيكَ؟ قلتُ لها: أبْدَى
فقالتْ، وقد رقَّتْ لَما بيَ مِنْ جَوى: ... أأرْدَاكَ طُولُ الهَجْرِ؟ قلتُ لها: أرْدَى
فقالتْ: أذُقْتَ البَرْدَ، مِنْ بَعْدِ بَيْننا؟ ... فقلتُ: حَمَى عيْني تشوُّقِكِ البَرْدا
فقالتْ: على مَا فيكَ منْ لاعِجِ الهوَى ... أراكَ تَشَكَّى البَرْدَ؟ قلتُ لها: البَرْدا
فقالتْ: فبُرْدِي مِنْهُ، يا حِبُّ، واقِيا ... أأنْتَ تُحِبُّ البُرْدَ؟ قلتُ لها: البُرْدا

وقلـتُ: فهـاتِي الـبُرْدَ، قالـتْ مُجيبَـةً: أتطْمعُ رِفْـدًا؟ نَحْـنُ لا نَبْـذُلُ الرِّفْـدَا
مَواعيــدُنا زُورٌ، وكــمْ غَــرَّ قوْلُنــا أخَا الرُّشْدِ، حتَّى صـارَ لا يَعْـرِفُ الرُّشْـدا
وكمْ عاشقٍ يَبْغِي الوِصالَ قضى أسًى إذا ظــنَّ قُرْبــا يَسْــتَحِيلُ لــهُ بُعْــدا
فقلـتُ لهـا مـنْ بعْـدِ ضَـنٍّ بنيْلِهـا: فليْتِـكِ لُقِّنْـتَ السَّـمَاحَة، والمَجْـدا
مــن أكْــرَمِ خلْــقِ الله، أطْوَلِــهِ يَــدا ومن هو – في بذْلِ النَّدَى – قدْ غدا فرْدا[1]

هذا النص يتصادى **مع قصيدة** الشاعر الحسني أحمد بن عبد الله الملقب: **الذيب (الصغير)** 1943م:

أهاجكَ بالألوَى معاهـدُ مـن أرْوى بذي الرمل أو ذي العبد ألوت بها الأنـوا
وليلـةِ بـرقٍ بـات يَـشري وملعـبٍ لقيتُ به – والليلُ مـنسدلٌ – أرْوى
تقول ترى هذا البريـقَ الـذي شرى أأروى بذي النَّفعين؟ قـلتُ لها: أرْوى
فقالت: أتدري كيف حالُ ربوعنـا؟ أألوى بها الدلويُّ؟ قلتُ: لها: ألْـوى
فقالت: ويـومُ البـينِ بالوصـل بيننـا أأشْواكَ وَشكُ البينِ؟ قلتُ لها: أَشْـوى
فقلتُ: وأهواكم على طول بُخلكـم فقالت: أتهوانا؟ فقلـت لهـا: أهْـوَى
فقالــت: ومغنانــا بمنعــرَج اللــوى أأقوى خلافَ العهْدِ؟ قلتُ لها: أقْوى
فقالــت: ومـا ألْـوى بصـبركَ يومنـا غداةَ بذي الألواءِ؟ قلتُ لهـا: ألْـوى
فقالت: ويومَ البينِ حنيـةَ ذي النقـى أأشواكَ بيْني عنْكَ؟ قلتُ لها: أشوى
أذاكــــرةٌ أيــــامَ نحــــن وأنــــتمُ بعُدْوَتِه الدّنْيا، وعُدْوَتِه الـقُـصْـوى؟
فقلتُ لها: قـد قلـتُ فيـكِ قصـائدًا فقالت: أيُرْوى ذاك؟ قلت لها: يُـروى
فقلتُ: أيُرجى منكِ موقفُ سـاعةٍ؟ فقالت: أنجْوى ذاك؟ قلتُ لها: نـجْوى

[1]– **هُجَّعٌ**: النائمون ليلا. **مُعَسْعِسًا**: عسعس الليل أقبل بظلامه. **جَلْدًا**: الجلد هو ذو القوة والشدة والبأس. **سوافِحا**: السافح الهاطل المنصب من المطر والدموع...

فقالت: فـلا تعجـلْ، فتنشــرَ سِرَّنـا إلى الليل؛ إذ سرُّ الصُّـبَاةِ بـه يُطْـوى
فلمّا طـوى الضـوءَ الظـلامُ نَحَوْتُهـا ولم أدْرِ في زعْــم الجُعَيْــلِ إذًا نَحْــوا
فــما راعهــا إلا تَــوجُّسُ زفــرةٍ كزفـرة ثكْـلى آخـرَ الليـلِ أوْ أقْـوى
فقالــت: مُجِــدٌّ؟ أنــتَ تعلــم أننــا معاشرُ حوّاتِ اللَّمـى عهْـدُنا يُلْـوى
فقلتُ:صِليني، قالت: اَعرفُ، وانبرتْ كما ماس خوطُ البانِ، مُسْـتَنًّا رَبْـوَا[1]

فالشاعران متعاصران؛ بين وفاتيّهما سنة واحدة، ولهذا **يصعب**- بدون بحث معمق- **تحديد** سابقهما من لاحقهما، أو **المؤثر والمتأثر منهما، ونصاهما متطابقان** في البنية الحوارية المتقنة، ولا يكاد يفرق بينهما سوىٰ حرفي الروي، ومآل التخلصين، **فالشيخ أحمد** فضل الخروج من بخل صاحبته بالوصل إلىٰ كرم النبي صلىٰ الله عليه وسلم، **والذيب الصغير** أسلمه اليأس من وصل صاحبته إلىٰ رحلة أخرىٰ. -

[1]- **أقْوى** المكان خلا من سكانه. **الصُّبَاةِ**: صاب المائل إلىٰ الصبوة والفتوة. **حوّات**: حُوُّ الشِّفاء. **انبرتْ**: (للأمر) تعرَّض له وتصدَّىٰ. **خوط**: غصن ناعم. **مُسْتَنًّا**: استنم الشيء ركبه وعلاه، واستنم البعيرَ ركب سنامه. **رَبْوَا**: الرابية، وهي ما ارتفع من الأرض.

ثامنـــا

مختارات من ديوان الشيخ أحمد ولد آدب

1- حرف الباء

- بائية من البسيط

فِيمَ انْهِمَاكُكِ في اللـذاتِ، والطَّـرَبِ؟ إلَى مَتَـى أنْـتِ فِي لَهْـوٍ، وفي لَعِـبِ؟
يـراكِ مـوْلاكِ فـيما قـد نهـاكِ معـا أوبِي، أمَا لكِ مـعْ مـوْلاكِ مـنْ أدَبِ؟
إنَّ الجَـراءةَ، والإقْـدامَ، نفْـسُ، عـلَى ما اللهُ يبْغضُهُ مـن أعْجَـبِ العَجَـبِ!
كمْ راغبٍ ظـلَّ، حتَّـى كَـلَّ، مُجْتَهِـدًا وراهبٍ ظلَّ يذْرِي الدَّمْعَ، كالسُّـحُبِ!
وأنْتِ في الأمْنِ! ماذا الأمْنُ؟ فاجْتَهِـدِي يا نفْسُ، فِي رَغَبٍ كُـوني، وفي رهَـبِ
قـد آنَ مُعْتَـبَرٌ، فـيَا مَضَـى اعْتَـبِرِي يا نفْسُ، مَالـكِ مِـنْ أمٍّ، ولا مـن أبِ
أمَا سَمِعْتِ الـذي بـالْموتِ مـنْ عَـدَدٍ أفْنِي، وأُصْمِتَ- بالتكْرار- منْ لَجَبِ
لا بُدَّ مـن موْقـفٍ ضـنْكٍ، تُـرَيْنَ بِـهِ وفيـهِ مالَـكِ مـن مَـالٍ، ولا نَسَـبِ
إلَّا لِمَـنْ حَقَـرَ الـدُّنْيَا، وَطَلَّقَهَـا ومَا لَهُ -غيْرَ رَبِّ النـاسِ- مـن أرَبِ
إنْ كنْتِ فِي رُتْبَـةٍ غرَّتْـكِ، نفْـسُ، فـمَا فِي المَوْقِفِ الضَّنْكِ منْ جاهٍ ولا رُتَـبِ

- بائية من الطويل

أبِالقلْـبِ تَذْكـارُ الأحِـبَّةِ؟ أوْبِـهِ هَـوًى قَاتِـلٌ فِي سَـيْرِهِ قبْـلَ أوْبِـهِ؟
بلى حُبُّ حِبٍّ خَـامَرَ القلْـبَ حُبُّـهُ ومَنْـآهُ عنْـهُ فِي تَضـاعُفِ كرْبِـهِ

ففِي القلْبِ نَـارٌ، والحَشَـا مُتَأَجِّـجٌ ... وذكر الذي يهوى مدى الـدهر يصـبه
فمُزْنُ دُمُوعِـي، لا تَـنِي عنْدَ ذِكْرِهِ ... بِخَـدّيَّ أُخْـدُودٌ مـنْ آثـارِ سَـكْبِهِ
ومالِيَ لا أَبْكِـي، وأَنْـدُبُ، دَائِـمًا ... حبيبـا، نَـأَى عَنِّـي الزَّمَـانُ بقُرْبِـهِ
وأيُّ فتًـى، لم يحْـرقِ الشّـوْقُ قلبَـه ... فـإنَّ فُـؤادي ذاك أكْـبَرُ عُجْـبِهِ
فلَلْمَوْتُ-عِشْقـا- لِلفَتَى خيْرُ مَوْتِـهِ ... كمـوْت مُحِـبٍّ مـات في إِثْـرِ حِبِّـهِ
فيا حَادِيّ الرُّكْبَانِ، قلْـبِي أسِيـرُكمْ ... وإنْ جزْتمُ أطْـلالَ حِبِّـيَّ عُـجْ بِـهِ
رعَـى اللهُ ركْبـا، فِي المَفَـاوِزِ صـمَّمُوا ... ويَطْوِي بسيطَ البِيـدِ أَخْفـافُ نُجْبِـهِ
حَنَـايَـا، كأَشْبَـاحِ القِـسِيِّ أهِلَّـةٌ ... بَـرَى نَيَّهَـا الـنَّصُّ المُجِـدُّ بصَـحْبِهِ
إذا لمْ يَغِثْنِـي أَحْمَـدٌ بوِصَـالِهِ ... فـلا آمـنُ المَـوْتَ الضرـوب بَعَضِـبِهِ
على أَحْمَـدٍ بـدْرِ الـتَّمامِ وآلِـهِ ... صَـلاةٌ، وتسْلِـيمٌ، مـن الله، ربِّـهِ
بقـدْرِ نَجَـاحِ السَّائِلِـينَ بِفَضْلِـهِ ... وآلٍ، وصَحْبٍ، تابِعِـينَ، لِحِزْبِـهِ

2- حرف التاء

- تائية من البسيط

أرجـو لمـا نـابني دهـري ابـن آمنـة ... أرجوه في يقظتي - نومي- وفي سِنَتِي
أَرْجـوهُ، عِـدَّة أنفـاسي، ولحظتهـا ... في اليوم في الشهر، في الأسبوع، في سنتي
ذِكْريـهِ أَنَّسَـنِي، كـذاك ينعشـني ... مَـرُّ الريـاح التـي مِـنْ أَرْضِـه سَرَتِ
يـا لوْعـةً بِـتُّ أشْـكوها تُـؤرِّقُني ... للجفن- بعد الهدُوِّ- الليلَ قد مَـرَتِ
النـار في كبِـدي، منْهـا، وفي خَلَـدِي ... وبِنْتُ عن جَلدي، والجِسْمَ قدْ بَـرَتِ
فيا لها لوْعَـة، للقلـبِ، قـد صَـدَعَتْ ... الشَّوْق قد أوْقدَتْ، والنوم قـد نَفَـتِ
حـبٌّ شُـغِفْتُ بـه، نفْسـي تُجَـنُّ بـه ... ومِـنْ تَجَنُّبِـهِ نـارُ الأسَـى قَلَـتِ
يا ذا الذي قـد بَنَـا في القلْـبِ مَسْـكنُه ... وذِكْـرُه في لِسَـانِي ثـم فِي شَـفَتِي

غوْثـاهُ! غوْثـاهُ! مِمَّـا كـانَ يُزْعِجُنِـي ... وكلُّ ما الـنفْسُ في الآثـامِ قـد جَنَـتِ
يا من على الخلْـقِ قـد عمَّـت مَواهِبُـه ... أرجـو جَـدَاكَ فـإنِّي لسْـتُ ذَا جِـدَةِ
أنـا الفقـيرُ إلى جـدْواكَ يـا أمَـلِي ... أنـا الفقـيرُ إلَى عَفْـوٍ وَمَرْحَمَـةِ
صـلَّى الإلـهُ عَـلَى الهـادِي وشِـيعَتِهِ ... مَا الورْقُ شاديةً - في غصْنِها- شَدَتِ

- تائية من الوافر

حَمَـامَ الشَّمْسِـياتِ أثـرْتَ شـوْقِي ... حنانَـكَ، يـا حَمَـامَ الشَّمْسِـياتِ
تَنُـوحَ تَوَجُّعًـا مِـنْ غَـيْرِ دَمْـعٍ ... ونَـوْحِي بالـدُّمُوعِ الـذَّارِياتِ
فإِلْفُـكَ فِي جِـوَارِكَ، فِي غِيَـاضٍ ... وإِلْفِـي فِي الفَيَـافِي الشاسِـعَاتِ

3- حرف الجيم

- جيمية من الطويل

ومـا أشربُ الـدخانَ قصْـدَ تَكَـبُّرٍ ... ولا أَبْتَغِـي عـنْ مَـنْهَجِ الحـقِّ منْهَجَـا
ولكـنَّ شـيطانَ الهُمُـومِ بصـدْرِنا ... عصـانا، فـدَخَنَّا عليْـهِ ليَخْرُجَـا

4- حرف الدال

- دالية من الطويل

وبرْقٍ، شرى، وهْنا؛ فأغْرَى بيَ الوجْـدا ... يَلوحُ، على نجْد، ومن سـكنوا نجْـدا
أرِقْـتُ لـه، والقـومُ، بالليْـل، هُجَّـعٌ ... وعيْنـايَ ممَّـا كـانَ آلَفَتَـا السُّـهْدا
وليْلٍ دجَا، أرْخى السُّدولَ مُعَسْعِسًـا ... لقِيتُ، على رغْم الرَّقيـبِ، بـه، هِنْـدا
فقالتْ: حفظْتَ العَهْدَ؟ قلتُ لها: نعـمْ ... حفظتُ، على ما كانَ، منْكِ، لكِ، العَهْدا
فقالتْ: بمَغْنانـا مـررْتَ؛ فهـل تـرى ... به العهْدَ وكَّافا؟ فقلتُ: أرَى العهْـدا

فقالتْ: أجُزْتَ الأبْلقَ الفـرْدَ باكيـا؟ فقلتُ لها: دمْعي سقَى الأبْلَـقَ الفـرْدا
فقالتْ: ذكَرْتَ الخَدَّ، والنَّهْدَ، عِنْـدَه؟ فقلتُ: حَـرٍ أنْ أذْكُـرَ الخَـدَّ، والنَّهْـدا
فقالتْ: بلغْتَ الجَهْدَ منْ شِدَّة البُكـا؟ فقلْتُ: جَـديرٌ، ثَـمَّ، أنْ أبْلُـغَ الجَهْـدا
فقالتْ: وجَلْدًا كنْتَ؟ قلتُ: ويَنْفَدَنْ تَجَلُّـدُ مَـنْ قـدْ كـانَ مُصْـطَبِرًا جَلْـدا
فقالتْ: نَرَى أنْ لا جُناحَ عَـلَى الـذي بكى الدُّورَ، والأطْلالَ، والزَّمَنَ الرَّغْـدا
وقالـتْ: بوعْـدٍ، قـدْ وعَـدْتُكَ مَـرَّةً أأنْجزَ ذاكَ الوعْدُ؟ قلتُ لهـا: الوعْـدا
فقالـتْ: ودَيْـن، قـد عجِلْـتَ تُريـدُه أأنْتَ تحبُّ النَّقْـدَ؟ قلـتُ لهـا: النقْـدا
فقالتْ: نرَى منْكَ الـدموعَ سـوافِحا أأبْدَى الهوى ما فيكَ؟ قلتُ لها: أبْدَى
فقالتْ، وقد رقَّتْ لَمَـا بيَ مِـنْ جَـوى: أأرْدَاكَ طُولُ الهَجْرِ؟ قلتُ لهـا: أرْدَى
فقالتْ: أذُقْتَ البَرْدَ، مِنْ بَعْـدِ بَيْننـا؟ فقلـتُ: حَمَـى عيْنـي تشـوُّقِكِ الـبَرْدا
فقالتْ: على مَا فيكَ منْ لاعِجِ الهـوَى أراكَ تَشَكَّى البَرْدَ؟ قلـتُ لهـا: الـبَرْدا
فقالتْ: فبُرْدِي مِنْهُ، يـا حِـبُّ، واقِيـا أأنْتَ تُحِبُّ الـبُرْدَ؟ قلـتُ لهـا: الـبُرْدا
وقلـتُ: فهـاتِي الـبُرْدَ، قالـتْ مُجيبَـةً: أتطْمعُ رِفْـدًا؟ نَحْـنُ لا نَبْـذُلُ الرِّفْـدَا
مَواعيــدُنا زُورٌ، وكــمْ غَــرَّ قوْلُنــا أخَا الرُّشْدِ، حتَّى صارَ لا يَعْرِفُ الرُّشْدا
وكمْ عاشقٍ يَبْغِي الوِصالَ قضى أسًى إذا ظــنَّ قُرْبــا يَسْــتَحِيلُ لــهُ بُعْــدا
فقلـتُ لهـا مـنْ بعْـدِ ضَـنٍّ بنيْلِهـا: فليْتِـكِ لُقِّنْـتَ السَّـمَاحَة، والمَجْـدا
مــن أكْــرَمِ خلْــقِ الله، أطْوَلِــهِ يَــدا ومن هو -في بذْلِ النَّدَى- قدْ غدا فـرْدا
وصــبْح، ولَيْــل- بــالَيقينِ- تراهُمــا إذا ما رأيتَ الوجْهَ، والشَّـعَرَ الجَعْـدَا
وبرْق حيا في الدجن، إنْ ريـئ باسـما عـلى أنَّـه -مـن وَكْفِـه- كفِّـه أنْـدَى
فيـا رَبّ، مَتِّعْنِـي برُؤْيَـةِ وجْـهِ مَـنْ بُدورُ الدُّجَى تَغْدُو- لطَلْعَتِـه- رُبْـدا

- دالية من الطويل

نسيمُ الصبا- من أرْضِ هنْدٍ- زجَى رَنْدَا ومـنْ دارِ هنْـدٍ حبَّـذَا هِيَّتِـي مـنْ دا

فإنْ نسِيَتْ هنْدٌ -عـلَى النَّـأْيِ- أنَّنِـي ... تُزَهْزِهُنِي الأشْواقُ مـنْ ذكْـرَتِي هِنْـدَا
لقد جهَّزَتْ نحْوِي جُنودًا من الهَـوَى ... إذا حانَ من جُنْـدٍ قفـولٌ تُـرِي جُنْـدَا
هوى منْ هَوَى هنْـدٍ أصـابَ مَقـاتِلِي ... فلـمْ يُبْـقِ لِي لحْـمًا، ولمْ يُبْـقِ لِي جِلْـدَا
هوى قد بَرَى جِسْمي، وأفْنى تَجَلُّدي ... وكنْتُ علَى الآزام - مِنْ قَبْلِهِ- جَلْـدَا
هوى هَدَّ رُكْنَ الصَّـبْرِ، والقلْـب فَلَّـهُ ... يَفُلُّ الحديدَ الصلْبَ، والحَجَرَ الصَّلْدَا
أسُودُ العَـرِينِ إنْ تَكُـنْ دُونَ أرْضِـهَا ... أجوز عرينَ الأسْـدِ، أقْـتَحِم الأسْـدَا
وإنْ تَكُـنِ الأعْـدَاءُ مـنْ دُونِ أرْضِـهَا ... سَـأقْتَحَمُ الأعْـدَاءَ، أخْـتَرِقُ الأعْـدَا
وأبْقَـى لَهَـا فـيمَا تـرى الـدَّهْرَ ثابِتًـا ... وإنْ نَقَضَتْ عهْدا، وإنْ أخَلَفَتْ وعْدا

- دالية من البسيط

سَوْقُ القريضِ، إلى آسِي المَريض، وذي الـ ... ـــــجاهِ العَريضِ، به جَبْرُ المَهِيضِ بَـدَا
دُنْيَـا لـه حَصَـلَتْ، فِي قلْبِـهِ سَـفُلَتْ ... إذا العُـدَاةُ أتَـتْ، تَبْقـى بَـدَادِ بَـدَا
إنْ جِئْـتَ سَـائِلَهُ، يَحْبُـوك نائِلَـهُ ... يُعطيـك عَاجِلَـه بـذْلًا ضَـفَا وَجَـدَا
إنْ لمْ تَكُـنْ جِـدَةٌ، بشْـرٌ عـلى عِـدَةٍ ... وإنْ تكنْ جِدَةٌ، يُعْطِـي الـذِي وَجَـدا
رِدْ بحْرَ ذِي كَرَمٍ، يَسْـقِيكَ مـنْ ظَمَـأٍ ... ذو الجاه، والكـوْثر السـاقِي لَمَـنْ وَرَدَا
كَـبْشُ الكَتِيبَـةِ مُـذْ لاقـاهُ فِي حَنَـقٍ ... لاقَـى مُقَارَعَـةً، حَاقَـتْ بِـه، وَرَدَى
قْـوَلِي الـذِي قُلْتُـه، أُبَيٌّ يَعْلَمُـهُ ... لَّـا أسَـاءَ عليْـه، غِلْظَـةً، وَعَـدَا
إيعـادُه الحَـقُّ مقطـوعٌ بِصِـحَّتِهِ ... وقوْلُـه صـادقٌ، مُـوفٍ بـما وَعَـدَا
فاقْصُدْهُ، لا مَلِكٌ، في الفضْلِ شاكَهَهُ ... كَـلَّا، ولا والِـدٌ، أيْضًـا، ولا وَلَـدَا
واقْصُدْهُ، حِينَ لَظَى حَرْبٍ قدِ الْتحَمَـتْ ... ثم اقْصُدَنْهُ لدَى بذْلِ النَّـدَى، وَلَـدَى
سُودُ الخُطُوبِ، فَتَفْرِيجُ الكُروبِ، بِـهِ ... مَحْوُ الـذُّنُوبِ، بِـه، هُـوَ الشـفِيعُ غَـدَا
كـمْ شَـدَّ مِئْـزَرَهُ، في نُجْـحِ أُمَّتِـهِ ... فِي أمْـرِ خَالِقِـهِ، كـمْ راحَ، ثُـمَّ غَـدَا
عَلَيْـهِ أزْكَـى صَـلَاةٍ، لَا يُحِـيطُ بِهَـا ... إلَّا الـذِي قـدَّرَ الأشْـيَاءَ، ثـمَّ هَـدَى
وآله الغُرِّ، والصَّـحْبِ الكِـرامِ، فهـمْ ... جُزْلُ الكُمَاةِ، الهُدَاة، السَّـادَةِ، الرُّشَـدَا

5- حرف الراء

- رائية من البسيط

هل مِنَ كَمِيٍّ "يُكَمِّي" مُدْنفًا "تَارِي" لاقَــى الهُمُــومَ بأشْــفَاعٍ، وأوْتَــارِ
وَلا مُـــؤَنِّسَ يلْقَـــاهُ يُؤَنِّسُـــه لا مِــنْ قــريضٍ، وَلَا تَحْريــكِ أوْتَــارِ

- رائية من مجزأ الكامل

إنَّ الـــــذينَ ترَحَّلُـــــوا نزلـــوا بعـــيْنٍ ســـاهِرَهْ
أنْـــــزَلْتُهمْ في مُقْلَتِـــــي فـــإذا هُـــمُ بِالسَّـــاهِرَهْ

- رائية من البسيط

شوْقُ الحبيبِ، لَمَا بـيْن الضـلوع بَـرَى وزنْدُ حُبِّـهِ أوْرَى، في الحَشـا، سَـقَرَا
مــن حُبِّــهِ دنِــفٌ، مــنْ نأيــه أسِــفٌ قلبـي بـه كَلِـفٌ، للشـوْق مـا صَـبَرَا
نفْسِي له وَمقَـتْ، والعـيْنُ قـد أرِقـتْ في دمْعِها غَرِقَـتْ، إذ دمْعُهـا انْفَجَـرا
الحُـبُّ تيَّمَنِـي، بالشـوْق هيَّمَنِـي طيْفٌ تـأوَّبَنِي، ثـم انْـسَرَى، وسَرَى
حُمِّلْتُ مـن حُـبِّ خـيْرِ الخَلْـقِ قاطبـةً مـا لـوْ تَحَمَّلَـهُ التَّوْبَـاذُ لانْفَطَـرَا
لوْ جَا علَى مَهَـلٍ، أشْـكُو بـلا عَجَـلٍ ما بيَّ منْ عِلَلٍ، كـيْ يُـذْهِبَ الـوَحَرا
بـلْ كنْـتُ أعْـذُرُه، فـالجَفْنُ يَهْجُـرُه نوْمِي، ويُسْـهِرُهُ، مـا بالحَشـا اسْـتَعَرَا
ليْتَ المَنَامَ-طُرُوقَ الطَّيْـفِ- خـامَرَنِي كـيْ يَسْـتَقِرَّ لـدَى مَـنْ قَلْبُـه انْصَـبَرَا
وقـامَ يَعْـذُلُنِي، مَـنْ لَـيْسَ يَعْـذُرُنِي ظلْـمًا، ويَزْجُـرُنِي، عَنِّـي مـا انْزَجَـرَا
والعذْلُ، والعذْلُ-يا ذا العَذْل- ما ائْتَلَفَـا وكمْ يُلامُ الـذِي صـبَا؛ فـمَا انْزَجَـرَا!
ما للعَذُولِ سَرَى- في العَذْلِ- وابْتكَرَا في حُبِّ حِبٍّ برَى قلْبِـي فـما انْصَـبَرَا
لو كانَ مِنْهُ يَـرَى مَـا قـدْ رأيـتُ دَرَى أن المَـلامَ جَـرَى ذنْبـا، ولي عَـذَرَا

- رائية من البسيط

قـلْ للـذي قـد بَنَـا مـا لـيس يَعْمُـرُهُ ... وَفضْـلُ خالِقِـهِ، في الـدهْرِ، يَغْمُـرُهُ
والمـاءُ، جـارٍ، حَوَالَيْـهِ، يَهُّـف، ومـا ... في الأرْضِ مِـنْ ثَمَـرٍ هـا هـي تُثْمِـرُهُ
وصـارَ في فـرَحٍ، منْـه، وفي تـرَحٍ ... وعُمْـق بحْـرِ المَنَايَـا سـوْفَ يَعْـبُرُهُ:
لا تَغْـتَرِرْ بِخَيَـالَاتٍ، مُزَخْرَفَـةٍ ... كـانْ المَنـامُ بمَـنْ فِيـهِ يُـزَوِّرُهُ
إنِّي رأيـتُ قُـرَّى كانـتْ مُحَصَّـنَةً ... دهْـرا، مُنَعَّمَـةً، والخُلْـد تُضْـمِرُهُ
هـذي مَعاهِـدُها، صرْعَـى أماجِـدُها ... أمْسـتْ مُـكَسَّرَةً.. لا كَـسْرَ تُجْـبِرُهُ
مِنْ بعْـدما قـد بَنَـوْا بنْيـانَهمْ وحَـوَوْا ... مُلْكـا عظـيما فنُـوا، والـوعْظُ أكْـبَرُهَ
ما قد ذَكرْتُ لكمْ، قَـوْمِيَّ، فـاعْتَبِرُوا ... ولْيَعْتَـبِرْ مَـنْ بَنَـى مَـا رَاقَ مَنْظَـرُهُ

6- حرف الظاء

- ظائية من الطويل

أراكِ مَقـــــالَ "الگـــــارظينَ" سَـــــمِعْتِه
وفَـا "الگرْظَـه"- في المَشْـهور- تأكلُـه "الأرْظـا"
فــلا تسْــمَعِي قــوْلَ امْــرِئٍ جــاءَ "گارظــا
كــما أنــا- قــدْما- فِيــكِ- لا أسْــمَعُ "الگرْظــا"
فــــمالي، ونفــــسي، في رضــــاك دفعــــتهم
جميعا.. و"اهَيْهْ".. "افْطَنْتِ".. ذا لمْ يكنْ "عَرْظـا"

7- حرف العين

- عينية من البسيط

لوْ أدْرَكا أخَـوايَ- الآن- مـا صـنَعا ... بِي الوَجْدُ، لمْ يَـدْرِيَا حِلْـمًا، ولا ورَعـا

والله لـوْ عَلِـمَا مَـا قَـدْ أصِـبْتُ بِـه ... فيما ظننتُ، لَفِي ما رُمْـتَ قـدْ شَرَعَـا
إنْ مَتُّ منْ أجْلِـهِ رُوحِـي سَـتَلزَمَهُمْ ... في شرْعِ مَنْ قدْ غَدَا للشَّرْع قد شرَعَـا
بَانَ الـذينَ بَنَـوْا في القلْـبِ مَسْـكَنَهُمْ ... وخَلَّفُوا الشَّجْوَ والأشْجَانَ والوَجَعَـا
فالعيْنُ، من كمَدٍ، تبْكِي، ومن أسَـفٍ ... والقلــبُ، مــن وَلَــهٍ، كأَنَّــهُ نُزِعَــا
وكنــتُ في وَلَــعٍ، والحُــبُّ تيَّمَنِــي ... والبَـيْنُ-يـا ويلتـي- قـد زادَنِي وَلَعَـا
ولامــتِ النــاسُ في حُــزْنِيَ إثْــرهمُ ... والحُزْنُ للقلْبِ، يا للنَّاسِ، قد صرَعَـا
ليْتَ العَذُولَ الذي- في الشجْو- أَنَّبَنِـي ... بـما فُجِعْـتُ بـه-مِـنْ بَيْـنِهِمْ- فُجِعَـا
قـدْ كـانَ يُضْـحِكُنِي دهْـرِي بقـرْبِهِمُ ... واليوْمَ أَبْدَلَنِي، من ضحْكِيَ، الجَزَعَـا
والفَصْلُ، بعْدَ لذيذِ الوصْلِ، أجْهَدَني ... والقُرْبُ بالغرْب مَبْـذُولٌ؛ فقـدْ مُنِعَـا
وكثْـرةُ المَـرْءِ- فِي الأقْـوى- بإخْوَتِـه ... والقل- منْ نحْوِهِمْ- بِي الآنَ- قد وقعا

- عينية من الطويل

إذا جئتُ وحْدي البيْتَ، أوْ جئتُ فِي جَمْعِ ... وعاينْتُ ما بيْنَ "الحجُونِ"، إلى "جَمْعِ"
وعاينت، بالعين، "المقام"، وذا "الصَّفَا" ... وذاك "مِنًى"، والكلُّ يُدْرَكُ بـاللمْعِ
إلى "عَرَفاتٍ"، فـ"الحطيمِ"، فـ"زَمْزَم" ... إلى غير ذا، من لـذَّةِ العـيْنِ، والسـمْعِ
جَرَى، وانهَمَى، وانْهَلَّ، مِ العَيْنِ دافِقـاً ... بسَكْبٍ- ولا عارَ- المَصونُ منَ الدمْعِ
فَدَمْعِي، لعَمْري، ثَمَّ، معْ وكْفِ سَـكْبِهِ ... قليلٌ له التَّوْكـافُ بالسَّـكْبِ والهَمْـعِ
مَنــازِلُ فيهــا اللهُ يــرْحمُ خلْقَــهُ ... مَنازِل كشْفِ الضُّرِّ والجَلْـبِ والنفْـعِ

- عينية من البسيط

عَبْـدٌ سَـفِيهٌ كفَـاهُ اليـوْمَ أنْ بَاعَـا ... بــاقٍ بفــانٍ يَظُــنُّ الــرِبْحَ فانْبَاعَــا
أطاعَ نفْسًا لجُوجًـا في الهـوى جَمَحَـتْ ... مَنْ يُعْطِهَـا الشِّـبْرَ تَأخُـذْ عنْـوَةً بَاعَـا
إبْلِيسُ، دُنْيَا، هَوًى، نفْسٌ لـه خَبُثَـتْ ... قَسَّــمْنَهُ بيْــنَهُنَّ اليَــوْمَ أرْبَاعَــا

8- حرف الفاء

- فائية من الكامل

قـل- للـذي منـع العيـون منامهـا ... والقلـبُ ذو شَـغَفٍ بـه: مـا أنْصَـفا
والله، إنِّي إنْ أراهُ، أو آتِـــــــــهِ ... لَكَمِثْـلِ ذِي ظَمَـأٍ، رأى مـاءً، صَـفَا

9- حرف اللام

- لامية من البسيط

بانُوا بقلْبِيَ، مُـذْ بـانُوا، ومَـا انْتبَهُـوا ... والقَلْـبُ-بيْـنَهمُ- تخْـدِي بـهِ الإبِـلُ
كصاعِ يُوسَف، في الركْبان، ما عَلِمُوا ... وفِي رِحـالهمُ -بالصـاعِ- قـدْ رَحَلُـوا
جِسْـمًا بقِيـتُ، بـلا رُوح، بُعَيْـدَكُمُ ... والجسْمُ- نحْو مَقَـرِّ القلْـبِ-مُنْتَقَـلُ
يـوْم ارْتِحَـالِهِمُ، مـا قـد أصـبتُ بـه ... حُمِّلْتُـهُ، حِمْلُـه يعْيـا بـه الجَمَـلُ
الله يعلـــــمُ أني صرتُ في وَلَـــــهٍ ... من بعْدكمْ، واعْتراني الهـمُّ، والوَجَـلُ
فـإنْ نطقـتُ حَـدِيثِي يَنْقَـضِي بكـمُ ... وإنْ صَـمَتُّ ففيـهِ انـتمُ الشُّـغُلُ
لا تحسبي النأْيَ يا "اخْوَيْدِيجَ" غَيَّرَنَا ... إنْ غَـيَّرَ النَّـأْيُ قوْمًـا بـالهَوَى جَهِلُـوا
رعْـيُ المَرابِـع، مـن بَعْـد الرَّوَابِـعِ، ذا ... دليلُ صِـدْقِ وِدَادِي، لـوْ هُـمُ عَقَلُـوا
إن دامَ هجـــرهمُ ظُلْـــمًا، ونَـــأيُهمُ ... عـــلى محبـتهمْ، فـادَوْهُ، أو عقَلـوا
ولستُ آملُ ألْقَـى- بعْـدهمْ- أحَـدًا ... بـل التَّسَـلِّي بلُقْيـاهمْ، هـو الأمـلُ
إنْ يَصْرمُوا حَبْلَ وُدِّي لستُ أصْرمُـه ... اللهَ نَاشـدْتكمْ، فلْتَرْحَمُـوا، وصِـلُوا
وإن صَرَمْتُمْ، فإنِّي- الدَّهْرَ- ذو تَـرَحٍ ... وإن وصـلتمْ؛ فـإنِّي ضـاحكٌ جَـذِلُ

- لامية من الوافر

أضرُّ الـــشَّيْءِ بالقلْـــبِ العَلِيـــلِ ... هَـــدِيلُ الـــوُرْقِ تَهْتِـــفُ بالهَـــدِيلِ
كـــذاكَ إذَا يَئِـــلُّ الـــبَرْقُ وَهْنـــا ... فوَيْـــلٌ للعَلِيـــلِ مـــنَ الأَلِيـــلِ

سـألْتُ مُعَـذِّبِي بـالهجْرِ ظُلْـمًا ... بـما سَـأَلَ الكَلِـيمُ مِـنَ الجَلِيـلِ
دَلِيلُـكَ مُـدَّعَى، فـأقِمْ دَلِـيلًا ... فَـمَا يُغْنِـي الـدَّلِيلُ عـنْ الـذَّلِيلِ
فقَـالَ: بـأنَّ حُبِّـيَّ ادّعَـاءٌ ... ومَـالِي فِي المَحَبَّـةِ مِـنْ سَـبيلِ
شُـهُودُ الحُـبِّ لِي: سَـقَمٌ، وَسـهْدٌ ... ودمْـعٌ، بالعَويـلِ، مـعَ الزّويـلِ
عـدلْتَ عـن العُـذُولِ، وهـمْ عُـذُولٌ ... فـمَا هَـذَا العُـذُولُ عَـنِ العُـذُولِ؟
فجُـدْ لِي بـالنَّوالِ، ولَـوْ قَلـيلا ... ففِـي بَـذْلِ القَلِيـلِ شِـفَا الغَلِيـلِ

- لامية من الوافر

أَلَا هَـلْ للمُتَـيِّمِ مِـنْ وِصَـالِ ... يُكَفِّـرُ ذَنْـبَ أَيَّـامِ الفِصَـالِ؟
أَلَا هـلْ مَـنْ يَـرِقُّ لـذِي سَـقَامٍ ... لحَـرِّ الشَّـوْقِ والتَّهْيَـامِ صَـالِ؟
يَبِيـتُ مُؤَرَّقًـا، ويَحِـنُّ دَأْبًـا ... حَنِـينَ النِّيـبِ ثَاكِلَـةَ الفِصَـالِ
تُشَـوِّقُهُ الرِّيـاحُ إذا تغنَّـتْ ... وتُبْكِيـهِ الطُّلُـولُ عَفَـتْ بَـوَالِي
ويُعْجِبُـه النَّسـيمُ يَمُـرُّ مَـرًّا ... وتُوحِشُـه الـبُرُوقُ عَـلَى القِـلَالِ
ويُبْكِيـهِ الـتَّرَنُّمُ وهْـوَ مُغْـرًى ... بقَعْقَعَـةِ الحِجَـالِ مِـنَ الخِـدَالِ
ولسـتُ أصُـدُّ إنْ أحْبَبْـتُ حِبًّـا ... ولَّـا يَنْهَنِـي شَـيْبُ القَـذَالِ
غـدَوْتُ مُتَـيِّمًا وبَقِيـتُ نِضْـوًا ... بِحِـبٍّ بـالمُتَيَّمِ لا يُبـالِي
يُحَـاذِرُ يقْظَـةً مِـن أنْ أرَاهُ ... ونوْمًـا أنْ أرَى طَيْـفَ الخَيَـالِ
أرِيـدُ الوصْـلَ منْـه، وعـن فِـراقٍ ... يُـرَى لم يـالُ، وا أسَـفِي، ويـالِي

- لامية من البسيط

أغْـبَرَّ، واحْمَـرَّ هـذا الجَـوُّ واتَّقَـدَتْ ... فيه السَّـمُومُ، وحـاقَ الجـدْبُ بالمـالِ
وقـد دعوْتُـكَ، رَبّي، فاسْـقِ ماشـيةً ... هِيمًا.. عِجَافًا، تَشَكَّى القَحْطَ بالحـالِ
غَيْثًـا هَنيئًـا مَرِيئًـا.. مُمْرِعًـا، غـدقا ... يَـأتِي بِـيُمْنٍ عَظـيم السَّـحِّ، هَطَّـالِ
مِنْوَالُكَ الجُودُ، فاصْـفدْ عَالَـةً ضُـعَفا ... والحِرْصُ، والعَجْزُ، والتَّقْصِيرُ مِنْوالِي

أنْـتَ المَـلَاذُ إذا مـا الخَطْـبُ ضـايَقَنا ... مـا إنْ لنـا أبَـدًا، إلّاكَ، مِـنْ وَالِي

- لامية من الكامل

إنَّ الـذي مَـلَأَ الفُـؤادَ بِحُبِّـهِ ... مـاتَ الهَـوَى مِـنَ غـيْرِهِ وبَـلَى بِـلَى
وهـواهُ يبْعـثُ لِي الهُمـومَ جَحـافِلا ... فتَّانَـة ووَساوسًـا وبَلَابِـلَا
هـو عُـدَّتي، في شِـدَّتِي، هـو عُمْـدَتِي ... وذَخِـيرَتِي، إنْ ألْـقَ خطْبًـا نـازِلا
للَجَـاجَتِي، ولحـاجَتِي، ولفَـاقَتِي ... ولنصْـرَتِي، أمَّلْـتُ بـدْرًا كـامِلا
ونَـوَائِبِي، وَمَـآرِبِي، أرْجُـو لهـا الـ ... ـبَحْرَ الخِضَـمَّ الزَّمْزَمِـيَّ البـاذِلا
هـو العِـمَادُ، إذا البـلادُ تَسَـعّرَتْ ... نـارًا تُشَـبُّ بِأهْلِهـا وزلازلا
وبمُـرْدِهِ، وبجُـرْدِهِ، وبجُنْـدِهِ ... أفْنَـى الأعَـادِي ناهبًـا، أو قـاتِلا
ونفـاهمُ مـنْ أرْضـهمْ بجَحافِـلٍ ... وصَـواهِلٍ، وقَنًـى لـه وقَنَـابلا
إنْ سـائلًا قـدْ رَدَّهُ ذُو ثـرْوَةٍ ... فمُحَمَّـدٌ مـا رَدَّ وقْتًـا سـائلا
أو قـال: "لا"، حتَّـى تَمَعَّـرَ وَجْهُـهُ ... فمُحَمَّـدٌ لمْ يَفْتَـتِحْ- كـلّا- بِـ "لا"
مـن كـانْ صـاحبَ نائـلٍ في بَلْـدَةٍ ... فمُحَمَّـدٌ قـد كـانَ أكثـرَ نـائلا
يـا مجـديا مسـتجديا يـا سـيدا ... بَـذّ الأنـامَ أواخـرا وأوائـلا
أمُحَمَّـدٌ، عنْـد الحُضُـورِ لتـحضرَنْ ... والمَوقـف الضـنْك المَخُـوف الهـائلا
أمُحَمَّـدٌ، عنْـد المَـماتِ لتَحْمِنِـي ... أخْـراي، يـا مـولايَ عفْـوا شـاملا
ومـنَ السـلامِ لأحْمَـدٍ أسْـنَى سَـلَا ... مٍ، راقَ، فِي حُلَـلِ المَـبَرَّةِ رافِـلا
وتحيـة، عطْريـة، فاقـتْ بَهَـا ... شـمسٍ، وبـدْرٍ، صـاحِيَّيْنِ، تَقـابَلا

- لامية من الطويل

ألا مَنْ لِصَـبٍّ، هَـائمِ القَلْـبِ، ملَّـهُ ... أحِبَّـاؤُه، يا لَـيْتَ شِعْـرِيَّ مَنْ لَـهُ
جفَـاهُ، بـلا ذنْـبٍ، حبيـبٌ يَـوَدُّهُ ... وأنْهَلَـهُ صرْفَ الغَـرَامِ، وعَلَّـهُ

عسَــاهُ عــلَى مــا كــانَ منْــهُ يَــرِقَّ لِي ... ويَــرْحَمُ تَهْيَــامِي، عَسَــاهُ، وعَلَّــهُ
وأبْــدَى دَلَالًا دَلَّــهُ وهْــوَ قَــاتِلِي ... مُــذَ اظْهَــرَ لِي ذاكَ الــدّلَالَ وَدَلَّــه
وَهَجْـرٌ، وزَجْـرٌ، عـنْ مَـواطِنِ قُرْبِـهِ ... ومَـنْ قَلْبِـيَ القـاسِي عَـلَى ذاكَ دَلَّـهُ
هَوًى، وجَوًى، عَيْنَايَ تَـذْرِفُ مِـنْهُمَا ... ووبْــلُ غــرامٍ، لا يَــزَالُ، وَطَلَّــهُ
فمَنْ مُنْصِفِي مِن جائرٍ، وهْـوَ بُغْيَتِـي ... أراقَ دَمِــي، بَغْيًــا عَــلَيَّ، وَطَلَّــهً؟

- لامية من الطويل

نهارُك- يـا مغْـرورُ- سَـهْوٌ، وغفْلَـةٌ ... وليْلُــكَ نــوْم، والــدَّدَا[1] بــكَ نَــازِلُ
يَغُــرُّكَ مَــا يَفْنَــى، وتفــرحُ بــالمُنَى ... وكــمْ سُرَّ باللَّــذَاتِ فِي النــوْم غافــلُ!

10- حرف الميم

- ميمية من الطويل

ألا لا تَرِمْ، يا قلْبُ، في الحُبِّ، "سَـلَّمَا ... رَسَا فِيكَ، كُنْ مِمَّنْ لِذِي المُلْـكِ سَـلَّمَا
ولو مَـنَّ مَـنْ تَهْـوَى بوصْـلَةِ سَـاعة ... لأنْصَفَ، أو مِنْ سِـحْرِ عَيْنَيْـهِ سَلَّـمَا
ومــاذا عليْــهِ لــوْ أجَــابَ تَحِيَّتِــي ... ويَكْفِيهِ أنْ لوْ كانَ، بـالطَّرْفِ، سَلَّـمَا

- ميمية من البسيط

عبْدٌ عَـلَا الشـيْبُ فَوْدَيْـهِ ومـا كتمَـهْ ... لــو كــانَ يُمْكِنُــهُ كتْمانُــهُ كتَمَــهْ
بــلْ لا بَقَــاءَ لليْــلٍ كــانَ حَادِيَــه ... صــبْحٌ مُنــيرٌ عليْــهِ نــاشرٌ عَلَمَــهْ
لَّــا رأى البِــيضُ بِيضًــا في مَفارِقِــهِ ... أبَــيْنَ تَكْلِيمَــهُ والسُّــقْمُ قــدْ كَلَمَــهْ

[1]- الدد: اللعب واللهو.

قد كانَ يأبَى- كَلامَا- دلَّ كُـلِّ رَشـا ... وَاليَـوْم تمْنعُـه الأرْشـا وَلَـوْ كَلِمَـهْ
فقـالَ، مُتَعَجِبًـا: خُنْـتُنَّ؟ قُلْـنَ: أمَـا ... تَـرَى ابْـنَ دَايَـةَ عَزَّتْـهُ الأَنُـوقُ؟ فَمَـهْ
وكُـنَّ، إنْ زارَ، أو إنْ رِيءَ، مِـنْ بُعُـدٍ ... يُعْوِلْنَ، مِنْ شَغَفٍ، يُعْلِـنَّ: وَا سَـقَمَهْ
البِيضُ يُنْكِرْنَ مَا قد كان مِنْكَ، فخُـضْ ... بَحْـرَ السُّـلُوِّ، وَذَرْ مـا كُنْـتَ مُغْتَنِمَـهْ
وابْكِ الشبابَ، ووصْلُ البِيضِ مَأْتَمُـهُ ... أقِمْهُ - وَيْكَ- وَخَلِّ العَيْنَ مُنْسَـجِمَهْ
بل بالبكـاءِ أحَـقُّ الـذنْب، فابْـكِ لـهُ ... وعَـدِّ عـمَّا مـضَى، لا ترْتكِـبْ زِيَمَـهْ
نُـحْ نـوْحَ أمِّ وَحِيـدٍ إذْ تصـابُ بـه ... ودَمْعكَ، الدَّهْرَ، منه اسْتَمْطِرَنْ دِيَمَـهْ
فـالعمْرُ ولَّى، وليْـلُ الجهْـلِ غيْهَبُـه ... عـاضَ البَصـيرَةَ مـن أنْوارِهـا ظُلَمَـهْ
أضـعتَ عمْـركَ، في غَـيٍّ، وفي سَـفَهٍ ... مَنْ ضَيَّعَ العُمْرَ فِي البُطْلَانِ قـد ظَلَمَـهْ
آنَ ارْعِواؤكَ، إذْ حانَ ارْتِحالُـكَ، عـنْ ... دُنْياكَ، حالُكَ مَـنْ سَـوَّاكَ قـد عَلِمَـهْ
فمَنْ لعاصٍ عـلى العصْـيانِ مُعتكـفٍ ... وأسُّ رُكْنِ التُّقَى، بالذَّنْبِ، قدْ هَدَمَـهْ
ضارٍ، بمَا ضَرَّ، مِنْ نـوْمٍ، ومـنْ كسَـلٍ ... مُغْـرًى بـما غَـرَّ، ممَّـا يقْتَـضِي نَدَمَـهْ
إلا الذِي كُـلُّ ذِي عُـدْمٍ، وذِي سَـعَةٍ ... مِنْ كُلِّ خلْـقٍ غَـدَا مُسْـتَجْدِيًا كَرَمَـهْ
والكُّـل يَسْـبَحُ فِـي تَيَّـارِ أنْعُمِـهِ ... ولنْ يُرَى مُجْتَدٍ، فِي الدَّهْرِ، قـدْ حَرَمَـهْ
والعَدلُ، والفَضْلُ، مِثْل البَذْلِ، فِيهِ مَعًـا ... والنُّبْلُ، والنَّبْلُ، إنْ خَوْفٌ دَهَـا دَهَمَـهْ
والحرْز، للنَّزْرِ، مِنْ فَضْـلِ ابْـنِ آمِـنَةٍ ... أعْيَا الوَرَى كُلَّهُمْ، واسْـتَيْقَنُوا عَدَمَـهْ
يا ربّ، عبْدٌ، جَنَـا، بالمُصْـطفى عَلِـقٌ ... فـاغْفِرْ كبَـائرَهُ، واغْفِـرْ لـه لَمَـهْ

- ميمية من الطويل

وظبْيٍ، كحِيلِ الطرْفِ، والحُسْنُ عَمَّهُ ... أبـانَ وِصـالي مـذ دَعـانِيَّ: عَمَّـهُ
فـزادَ غرامـي فيـه أنْ زادَ في الجفـا ... وقلبِي - بطول الهَجْر- ضاعفَ غمَّه
وَخـبَّرَنِي: ألَّا سَـبيلَ إلى اللِّقـا ... فَلـمَّا وعَـى سَـمْعِي المَقـالَ أصـمَّهُ
فبـتُّ بشـوْقٍ، لـوْ يُصَـبُّ قَلِيلُـهُ ... علَى الصخَر الصيْخُودِ، صـدَّعَ صُـمَّهُ

فقلتُ: عَلاَمَ الهجْـرُ يـا غايـةَ المُنَـى؟ فقـالَ: حـديثٌ بيْننـا الشـيْبُ نَمَّـهُ
فبـاتَ الأسَـى فِي القلْـب يُوقِـدُ نـارَه وبَـاتَ الهَـوى العُـذْريُّ ينفـثُ سُـمَّهُ
فـذُمَّ ديـارا، بعْـدَ دارِ اجْتِمَاعِنـا وعيْشًـا لنـا، مـن بعْـدِ تَيْلِـكَ[1]، ذمَّـهُ
وإنْ أسْعدتْ سُعْدى، وسُعْداكَ قدْ قَلَتْ فبَحْر النَّدَى، نُور الهُدَى، البَـدْر، أُمَّـهُ
رؤوفٌ بمَـنْ وَالاَهُ، قـد فـاقَ رأفَـةً أَبَـاهُ الـذي ربَّـاه طفْـلا، وأمَّـهُ
وذا عبْـدُ سـوءٍ، أَوْبَقَتْـهُ ذُنُوبُـه عَلَى شَـعَثٍ، قـدْ جَـاءَ، يَـا بَـدْرُ، لُمَّـهُ
ففِي هـذه الأولَى، وأخْـراهُ، ضـيْفُكمْ وضـيْفُكمُ، حقًّـا، إذَا القَـبْرُ ضَـمَّهُ

11- حرف النون

- نونية من الطويل

يَعُـودُ السـلامُ الحافِـلُ الأسْـنَى إلى سَيِّدي: "سِيدِيَّ" والدي الأحْنى
ثِمَالِ اليَتَـامَى، بهْجَـةِ العَصْـرِ، نُـورِهِ وطَـلَّاعِ تَـلِّ المَجْـدِ، وهْـوَ لـه مَغْنَـى
وشـافِي مُرِيـدٍ مِـنْ مَرِيـدٍ بنظْـرةِ ومَرْمَى عِصِيِّ الوفْدِ الأقْصى، أوِ الأدْنى
مُزيلِ عَمَايَاتٍ منَ الجَهْلِ، قـد طغَـتْ وفرَّاجُ أزْمَاتٍ، إذَا القـوْمُ قـد أسْـنَى
فمُوجِبُه افهم واسمع القول والمعنـى وإنْ كُنْتَ- عنْه فِي الغِنَى- تَعْلَمُ المَعْنَـى
بـأنِّيَ لمْ أرْدُدْ لِنَفْسِـيَ عـنْ هَـوًى ولمْ- سَيِّدِي- يَرْدُدِ لَهـا ربُّهـا الأغْنـى
وأنْـتُمْ- إذا تاقـتْ- ترُومُـونَ رَدَّهَـا وقوْلُكُمُ -هذا- كـ "الأعْوَرِ قَدْ جُنَّا"[2]

---

[1]- بمعنى "تلك".

[2]- لقد استحضر هنا قصة رجل من تميم كان أسيرا عند قوم، فسمعهم يتحدثون عن عزمهم على غزو قومه، فطلب منهم السماح له بإرسال رسالة إلى أهله، فاشترطوا لذلك أن يسمعوا الرسالة، حتى يتأكدوا من خلو محتواها من أي إنذار، فكان من ضمن وصاياه لهم:

"... وأن يعروا ناقتي الحمراء فقد أطالوا ركوبها ويركبوا جملي الأصهب... فلما وقفوا على الكلام.. قالوا جن الأعور بعدنا إذ لم نعرف له ناقة ولا جملا" .... ثم دعوا أحد حكمائهم "فلما قصوا عليه القول قال=

فَفُـزْتَ، ولمْ أقْصُـدْ بـذاكَ تقاطُعـا ... وفيما رضِيتُمْ- سَيِّدِي- جَهْدُنا الأسْنى
عليكَ- أيَا مَنْ قدْ نجَا بكَ مَـنْ نجـا ... ويا مَنْ بـه- بـيْنَ المَعَـاشِرِ- قـدْ فُزْنَـا
سـلامٌ - مَـذاقًا- فـاقَ سـاكِنَةً دِنَّـا ... أيَا مَنْ لهُ- فِي حَلِّ مَـا قـدْ قَسَـا- دِنَّـا

- نونية من الطويل

ثَوَيْـتَ بـأرضٍ لا نجـاةَ، ولا أمْنـا ... لثاوٍ بها، والرَّكْبُ -وَيْحَكَ- قد أمْنَـى
وطـافَ، ولبَّـى، واسْـتتمَّ شُرُوطَـهُ ... ونحْنُ أسارَى الشوْقِ، بالبيْتِ، قد هِمْنَا
سكارَى، بلا صَحْوٍ، مِنَ الشوْقِ، لم نكُنْ ... أفَقْنَـا، وأهْـلَ الحُـبِّ قاطبـةً فُقْنَـا
وسُـقْنَا نُفوسًـا طالَمَـا شَـفَّهَا الهـوى ... إليْـكَ، ألَا فاقْبَـلْ نُفُوسًـا لهـا سُـقْنَا
وَصُـغْنَا قَريضًـا، كالفَريـدِ مُـنَظَّمًا ... أبا القاسمِ الفيَّـاضِ أَصغِ لِمَا صُـغْنَا
هوى المُصْطفى ما إنْ وَجَـدْنَا كمِثْلِـهِ ... وكُـلَّ مَـرَارَاتِ الهَـوَى المُـرِّ قـد ذُقْنَـا
فيـا أيُّهـا السـاعِي، إذا جِئْـتَ أرْضَـهُ ... فمَـرِّغْ بهَـا خَـدًّا، ومَـرِّغْ بِهَـا ذِقْنَـا

- نونية من الوافر

أثـارتْ لِي الشُّـجُونَ، بكُـلِّ فَـنٍّ ... مُطَوَّقَـةٌ عَـلَى فَـنَنٍ تُغَنِّـي
بكتْ، فبكيـتُ حينَ بكـتْ، وأذْرَتْ ... مـدامعَ مُقْلَتَـيَّ، بـلا تَـأنِّ
سـيَظهرُ مَحْـضُ تِـبْرٍ مـنْ نُحـاسٍ ... إذَا مَـا التِّـبْرُ سُـنَّ عَـلَى مِسَـنِّ
سَـلِي -مَـيُّ- السّـنِينَ الغُـبْرَ عنِّـي ... لـدَى عَـضِّ السِّـنِينَ بِكُـلِّ سِـنِّ
سَـلِي الأمْـوالَ تُفْصِـح -وَيْـكِ- أنِّي ... أهنْـتُ خِيَارَهـا، مَـا إنْ تُهِنِّـي
سَـلِي الأشْـعارَ، والسُّـمَّارَ وهْنـا ... سَلِي "تَنْدَيْنَ"- مَيُّ- سَـلِي "تَـدَنِّ"
سَـلِي يُخْـبِرْكِ عَنِّـي الكُـلُّ كُـلًّا ... بـذاكَ، وغـيْرَ ذاكَ فـلَا تَظُنِّـي
فـثَمَّ البُـدْنُ تشْـهَدُ لِي، وضـيْفِي ... ويَشْـهَدُ لِي العَـبَنُّ، مَـعَ الهَـبَنِّ

= أنذركم... والناقة الحمراء الدهناء، والجمل الأصهب الصعمان، يقول اعدلوا عن السهل إلى الجبل..." انظر: داود بن عمر الأنطاكي: **تزيين الأسواق في أخبار العشاق**، ص191.

- نونية من الوافر

أضَـعْتَ مَجَالِسِـي، مُـذْ غِبـتَ عَنِّـي ... تُعَـانِي- فِي القَـرَاءَةِ- مَـا تُعَـانِي
عليْهـا صرْتَ مُعْتكِفًـا، فطـوْرا ... عـلى النَّـوَوِيِّ، ثُـمَّ القسْـطَلَانِي
.... ورَنَّـاتِ المَثالِـثِ، والمَثَـانِي
على حسْو الكُؤوس، أقمـتُ دَهْـري ... وشَدْوِ "ابْرَيْكَه"، مـعْ ذاتِ الـدُّخَان

- نونية من البسيط

شـوْقِي لَـنْ شـوْقُه قـد كـاد يُرْدِينِـي ... دِينِـي وَهُـوَّ عـلَى طُـولِ المَـدَى دِينِـي
إنْ قُمْـتُ قَـامَ هَـوَاهُ فِي مُسـاعَدَتِي ... أوْ نِمْـتُ أيْقَظنِـي جهْـرًا يُنَـادِينِي
قلبـي ميـادينُ فِكْـرِي فيـه ضَـلَّ بهـا ... واهًـا لضَـلَّةِ قلْبِـي في الميـادينِ
يا ليْـت شـعْري مَـنْ بـالهجْر عـذَّبَني ... دَأْبًـا يُرَاوِحُنِـي مِنْـه يُغـادِيني
إنْ غِبْتُ عنْ ذِكْرِهِ.. هلْ هُوَ يَـذْكُرُنِي ... أوْ متُّ- فِي حُبِّه- هـلْ هُـو وَادِينـي؟

- نونية من الطويل

أبَانِيَّ قَـصْرِ الـبَرْكَ(ه)، شَـيِّدْهُ وابْنِـهِ ... وبلِّـغْ تحايانـا إلى القـصْر وابْنِـه
فـذا العـالمُ العلْـويُّ راضٍ بِنـاءَهُ ... وذا العـالمُ السُّـفْلِيُّ جَنَّـةُ عَدْنِـه
فَحَيَّـاهُ مـوْلاهُ السـلامَ بصـوْنِه ... وحيَّاهُ منْ صوْب الحَيا وكْـفُ مُزْنِـه

- نونية من الطويل

ألا مَـنْ لعبْـدٍ في الهـوى وقرُونِـهِ ... بدَا الفجْر قُسْـرا مـن ليـالي قُرونِـهِ؟
فلـيْس لـه إلا الإلـهُ، وعَفْـوُهُ ... وخَلْـعُ رِدَاءيْ لُهُـوِهِ، وَمُجُونِـهِ
ويَعْبُـدُهُ حَـقَّ العِبـادة مُخْلِصـا ... يُراقـبُ- في الآنـاءِ- وقْـعَ مَنُونِـهِ
جُنونُ الشبابِ الغضِّ- في الشيْب- سُبَّةٌ ... ومـا بَعْـدَ شـيْبِ المَـرْءِ بُـرْءُ جُنونِـهِ
فـدَعْ ذِكْـرَ أيـامِ العُـذَيْبِ، وبـارِقٍ ... وَتـذْكَارَ لَـذْعَاتِ الهـوى وَفُنونِـهِ

ودَعْ ذِكْرَ مِيمِ المَبْسَمِ العذْبِ، ذِي اللَّمَى ... وَحَاجِبِ مَنْ تهْوَى، وَتقْويسِ نُونِهِ
وخَلِّ سَبيلَ الأحْورِ الرَّشَأِ الذي ... إذا لمْ يكنْ بدْرًا فليس بِدُونِهِ
ولا تُرْسِلَنْ طَرْفًا إليْهِ فإنَّه ... يُحَاكِي شعاعُ الشمسِ ضُوْءَ جَبينِهِ
إذا لمْ تَغضَّ الطرْفَ عنه وتَتَّقِي ... حبائلَهُ أصبحتَ طوْعَ يَمِينِهِ
وحسْبُ امْرئٍ يرْجو النَّجَاةَ وسُبْلَها ... إذا كان ذا عقْلٍ يَفِرّ بِدِينِهِ
فيا رَبّ، عبْدٌ تسْتَهِلُّ شُؤونُهُ ... على حوبِهَ، أصْلِحْ له مِنْ شُؤونِهِ
تراهُ على ما كانَ مِنْ سُوءِ فِعْلِهِ ... يَخَافُ ويرْجو منْكَ حُسْنَ ظُنُونِهِ

- نونية من الوافر

ألا عَوْدًا، لُيَيْلَاتِ التدَاني ... فهَا أَنَا ذا سَمِيري: الفَرْقَدَانِ
فعَيْشِي، بَعْدَكُنَّ، على اكْتئابٍ ... وشَوْقِيكُنَّ- من وَلَهٍ- بَرَاني
ليالي البِيض تُزْهُرِ مُقْمِرَات ... وزِيرِي طيِّبِ الأرْدَانِ دَانِ
ليالي الوصْلِ رانيةٌ إلَيْنا ... ومَنْ أهْوَى منَ الأقْرَانِ رانِ
بَكَيْتُ، ومَنْ هَوَيْتُ، على جَفَائِي ... عَزومًا، لا أرَاهُ، ولا يَراني
عَلَى حُبِّيهِ- مَظْلَمَةً- قَلَانِي ... ودَهْرِي، ما جَفَوْتُ، وقدْ جَفَاني
فأذْرَيْتُ الدموعَ، ونُحْتُ، حتَّى ... غَدَا دَمْعِي-من الأجْفَانِ- فاني
تَلَاهُ دَمُ العُيونِ، كأُرْجُوَانٍ ... له الأخْدُودُ، بالأذْقانِ قانِي
ألا يا حِبُّ، إنَّ القلْبَ صالٍ ... كَمِيمَ الشَّوْقِ في ذا الآنِ آنِ
فأذْعَنَ للغَرامِ على خُشوعٍ ... تَعَدَّى رُتْبَةَ الإذْعَانِ عَانِ
وما شوْقِي لذاتِ الخالِ: لَيْلَى ... ولا لُبْنَى ومَيّة الاثْنَتَانِ
ولا دعْدا هويتُ، ولا سُعادا ... ولا مَيْلَاء، ترْفلُ، في ازْدِيانِ
ولَا شَوْقِي لكاظِمةٍ وسَلْعٍ ... ورامَة والعُذيْب الأبْلقان
ولا بالبيضِ كانَ لِيَ ادِّكارٌ ... ولا أنا بالمَغاني الزُّهْر غان

ولا أبْكـي عـلى طلـلٍ، ومَغْنـى ... ومـالي بـالطلولِ، وبالمَغـاني؟
ولا حُـبُّ الرُّبُـوع وسـاكنِيها ... ولكـنْ حُـبَّ أحْمَـدَ قـدْ سَـبَانِي
رشـيقِ القـدِّ، أبْلـجَ، ذِي شَـطاطٍ ... يَـدِينُ لـهُ قضـيبُ الخيْـزُرانِ
ويُعْشِـي النـاظرينَ بنُـورِ وجْـهٍ ... إنَ اسْـفَرَ، مـا سُـفُورُ الزِّبْرِقَـانِ؟
لـه عَـرَقٌ كـدُرٍّ إنْ عَـلَاهُ ... عَـلَا نَظْـمَ الجُـمَانِ عـلى الغَـوَانِي
وفـاقَ المِسْـكَ، الأذْفَـرَ، والغَـوَالِي ... كـمَا عـنْ ذاكَ أخْـبَرَت أمُّ هَـانِي
ويُعْطِـي الإبْـلَ هنْـداتٍ وعَكْـرًا ... وأصْـنَافَ الـدَّرَاهِمِ، والدَّنَانِيـ
أذاقَ الخَلْـقَ إيمانًـا لذيـذا ... يفُـوقُ حَـلَاوَةً خمْـرَ الـدِّنَانِ
إذا مـا افْـتَرَّ يَضْـحَكُ في وَقـارٍ ... عـن أسْـنَانٍ أحَـدَّ مـنَ السِّـنَانِ
تـرَى حَـبَّ الغَـمَامِ، وبـرْقَ دجْـنٍ ... عَـلَى ألْمَـى اللِّثَـاتِ، وأُقْحَـوَانِ
وإنْ كَمِـيَ الـوَطِيسُ يكـونُ رِدْءًا ... عـن الأقْـرَانِ، في الحَـرْبِ العَـوَانِ
ولَّـا أنْ خُطُـوبِي قـدْ دهَتْنِـي ... وخـوْفِي- مـن ذُنُـوبِي- قـدْ دَهَـانِي
فزعْـتُ إلى الكـريم، القـرْمِ، غـوْثي ... إذا مَـا الخـوْفُ أفْزَعَنِـي أمَـانِي
وسـوْفَ بجاهِـهِ تُمْحَـى ذُنُـوبي ... وأُكْفَـى مَكْـرَ ذِي حَسَـدٍ، وشَـانِي
وأكْفَـى شرَّ ذي عِظَـمٍ، وجَـاهٍ ... كـذا مَكْـرَ الجَلَنْـدَدِ[1]، والـدَّدَانِ[2]
فحُـزْنِي- مِـنْ ذُنُـوبِي- في ازْدِيَـادٍ ... ومِـنْ كِـبَرٍ، ومـنْ شـيْبٍ عَـلَانِي
أغْثْنِـي، يـا ابْـن آمِنَـةٍ؛ فـإنِّي ... أرى كِـبَرِي، وشَـيْبِي ناعيَـاني
وإنْ لَمْ -بالعِيَـانِ- أزُرْكَ، جهْـرا ... فتكْفِينـي الزيـارةُ بالمَعَـانِي
معَـانٍ، لـو يُعايِنُهـا لبيـبٌ ... تحَـيَّرَ، وهْـي تُغْنِـي مَـن يُعَـانِي
مـدحْتُ الزمْزَمِـيَّ بقـدْر وُسْـعِي ... ومـا يُجْـدِي المَـديحُ، مَـدَى الزمـانِ

---

[1]- رَجُلٌ جَلَنْدَدٌ: أي فاجِرٌ يَتَّبع الفُجور.

[2]- سَيْفٌ دَدَانٌ: أي كَهَامٌ. وقيل: قاطِعٌ. وهو من الأضْدَادِ.

فمَــدْحُ مَــنِ الإلــهُ عَليْــهِ أثْنَــى ... سُــكُوتِي، والمَــدِيحُ لَــهُ، سِــيَانِ[1]
وكــمْ، ببــديعٍ، اعْيــا مــن مُجِيــدٍ ... وأعْيَــا بالكِتَابَــةِ مــن بَنَــانِ!
وأعْيَــا واصِــفِيهِ الوصْــفُ، قــبْلِي ... فعْــذْرًا، لــيْسَ يُدْرِكُــهُ لِسَــانِي
وحسْــبِي بــالنَّبِيِّ، لكــلِّ هــوْلٍ ... مــن الأهْــوال، موْقِعُــه شــجاني

12- حرف الواو

- واوية من الطويل

وَلِي أَذُنٌ صَمَّا، عَـنِ العَـذْلِ، فِي الهَـوَى ... إذا سَمِعَتْ عَذْلًا، فلا سَمِعَتْ نَجْوَى
وعَيْنَانِ عَمْيَاوَانِ، عَـنْ نَظَـرِ السِّـوَى ... وإنْ كانَ قدْ شَطَّ المَـزارُ بِمَـنْ أهْـوَى
إذا هـيْمَنَ الرَّعْـدُ الحِجَـازِيُّ شَـاقَنِي ... أو الـبَرْقُ نَجْـدِيًّا، فـأغْرَى بِيَ الأهْـوَا

13- حرف الهاء

- هائية من الوافر

أغِيثــوا، مَــنْ لكــمْ عِــزٌّ وجَــاهُ ... قــريحَ القلْــب، شــوْقكمُ وَجَــاهُ
تُقلِّبُــه الهُمُــومُ حَلِيــفَ شَــوْقٍ ... يُصَــيِّرُهُ كمَسْــلوبٍ نَجَــاهُ
سَــألْتُ وِصــالَكمْ ربًّــا رحِــيمًا ... كــريمًا، لا يَخيــبُ مَــنْ رَجَــاهُ[2]

- هائية من الوافر

بَــدَا النُّــورُ المُهَــيْمِنُ خــيْرَ فجْــر ... أنــارَ الكــوْنَ أجْمَعَــهُ بُــدُوَّهْ
فــأبْرَزَهُ المُهَــيْمِنُ بَــدْرَ تــمٍّ ... وأعْــلَى ذِكْــرَهُ حقًّــا دُنُــوَّهْ
فــلا أحــدٌ مــنَ الثَّقَلَــيْنِ طُــرًّا ... مــنَ اللهِ العظــيمِ دَنَــا دُنُــوَّهْ

---

[1]- **سيَّان**: حقها تشديد الياء، لأنه تثنية سِيّ، وقد خففت هنا ربما لضرورة الوزن.

[2]- مسودة الجزء الخاص بكتته من كتاب: **الأخبار** "المدون" لهارون بن الشيخ سيدي، ص 105.

ولا أحَـــدٌ مِـــنَ الثَّقَلَـــيْنِ طُـــرَّا ... يُخَبِّرُنَـــا بمَـــنْ يسْـــمُو سُـــمُوَّهِ
ولا أحَـــدٌ مـــنَ الثَّقلـــيْنِ طُـــرَّا ... عـــلى الضُّـــعَفَاءِ قـــد يَحْنُـــو حُنُـــوَّهْ
ولا أحـــدٌ لـــه في الخَلْـــقِ طُـــرَّا ... يُشَـــاكِهُ، أوْ يُبَـــارِي، في الفُتُـــوَّهْ
إذا الصـــنْديدُ قـــد أبْـــدَى عُتُـــوًّا ... يُقارعُـــــه، فيسْـــــلبُهُ عُتُـــــوَّهْ
فيَغْـــدُو في الجِهَـــادِ، ولا كَمِـــيٌّ ... يُجاهِـــدُ جَهْـــدَهُ، يَغْـــدُو غُـــدُوَّهْ
ولَّـــا الخَلْـــقُ هَـــوَّمَ فِي مَنَـــامٍ ... وَأَيْقَـــنَ أحْمَـــدٌ منْـــهُ هُـــدُوَّهْ
فحَيَّـــاهُ الأمِـــينُ، عـــلَى بُـــرَاقٍ ... وأرْكَبُـــهُ، وخَـــلَّاهُ، وَجَـــوَّهْ
فشُـــرِّفَ بالكِفَـــاحِ، وذا مُنَـــاهُ ... رَأَى مَـــا قَـــد رَأَى مُوسَـــى بِطُـــوَّهْ
فبَـأْبِئْ[1] ثُـمَّ مـأمئ[2]، حِـينَ يُنْمَـى ... لـــدَى ذِكْـــرِ الأُمُومَـــةِ، والأُبُـــوَّهْ
فَلَـيْلِي- فِي التَّمَلْمُـلِ- مثْـلُ يَـوْمِي ... ومِـــثْلِي مَـــنْ تَمَلْمَـــلَ، أوْ تَـــأَوَّهْ
متَـــى رُمْـــتَ السُّـــلُوَّ أبَـــى فُـــؤادٌ ... قـــد اعْدَمَـــهُ تَشَـــوُّقُهُ سُـــلُوَّهْ
غرامِـي- في الفُشُـوِّ- كمثْـلِ شـوْقِي ... تـــرَى- في العـــالِمِينَ معًـــا- فُشُـــوَّهْ
عـــذابي- في المَحَبَّـــةِ- قـــد حَـــلَا لِي ... ومُـــــــرُّ الهَجْـــــــرِ...
بَـــدِيعُ الحُسْـــنِ إنْ يرْنـــو رُنُـــوًّا ... يَغَـــارُ الظَّبْـــيُ مُحْتَقِـــرًا رُنُـــوَّهْ
إذا مَـــا افْـــتَرَّ تُبْصِـــرُ عَـــنْ شَـــتِيتٍ ... سَـــنَى بَـــرْقٍ، وفِي شَـــفَتَيْهِ حُـــوَّهْ
مَـــدِيحُ مُحَمّـــدٍ أعْيَـــا بحصْـــرٍ ... جميـــعَ الكـــوْنِ؛ عـــامِرَهُ، وَدَوَّهْ
فـــلا- بِـــالنَّثْرِ- يَبْلغُـــه بليـــغٌ ... ولا- بالشِّـــعْرِ- مَشْـــهُورٌ، مُفَـــوَّهْ
أأحْمَـــدُ، قـــد أتيـــتُ، عـــلى اذِّلَالٍ ... بـــلا حـــوْلٍ، أتيـــتُ، ولا بِقَـــوَّهْ
أغثْنِـــي، يـــا ابْـــنَ آمِنَـــةٍ، فـــإنِّي ... مـــنَ الحـــوْبِ الكبـــيرِ بقعْـــرِ هُـــوَّه

---

[1]- **البأبأة:** قَول الْإِنْسَان لصاحبه: بِأبي أَنْت، وَمَعْنَاهُ: أفديك بِأبي. تهذيب اللغة.

[2]- على القياس نفسه بالنسبة للأم.

تاسعـــا

بعض رسائل الشيخ أحمد ولد آدب

1- رسالة إلى سيد الامين (خ) بن سيد احمد بن سيد الامين

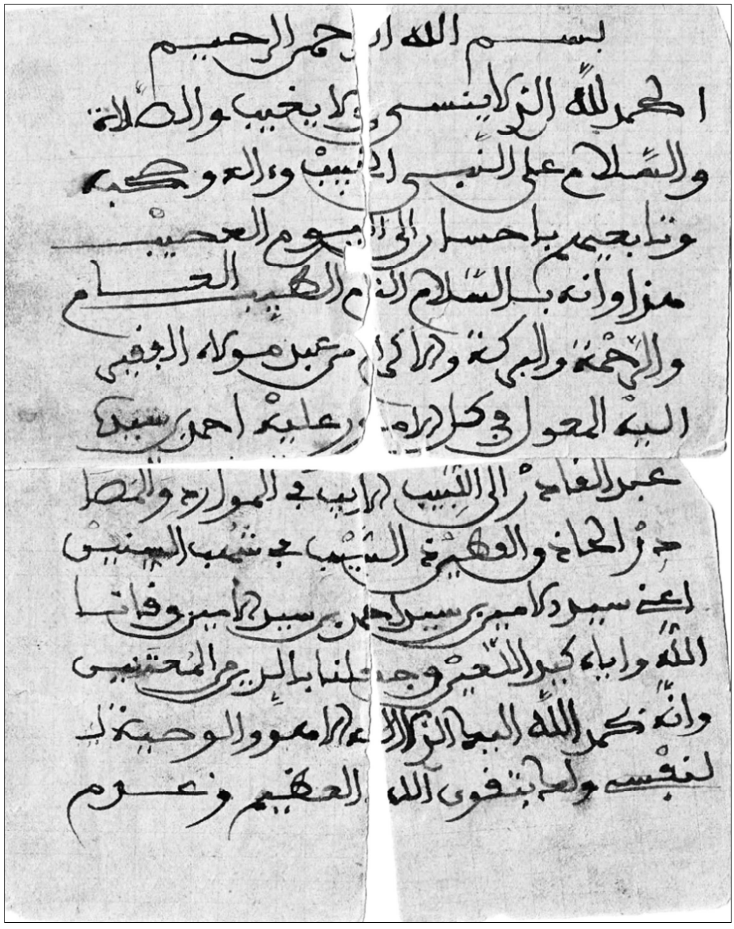

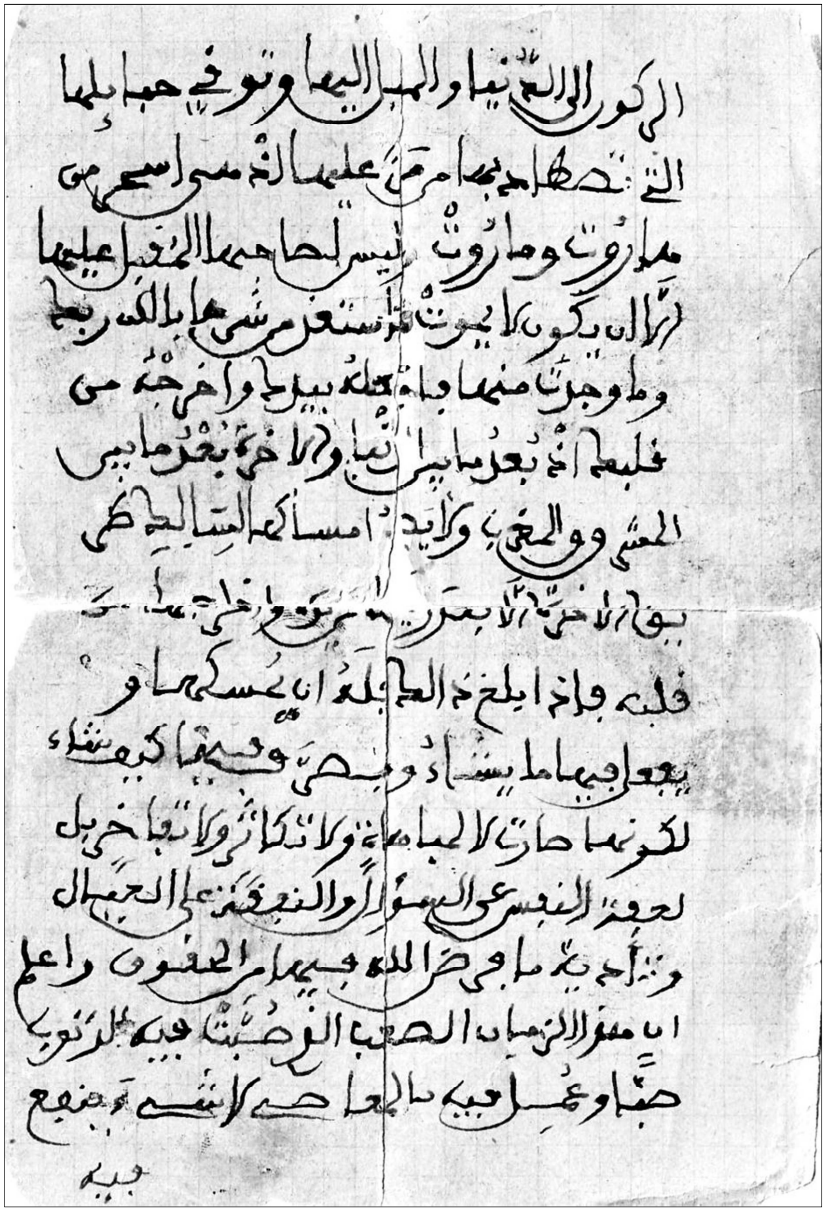

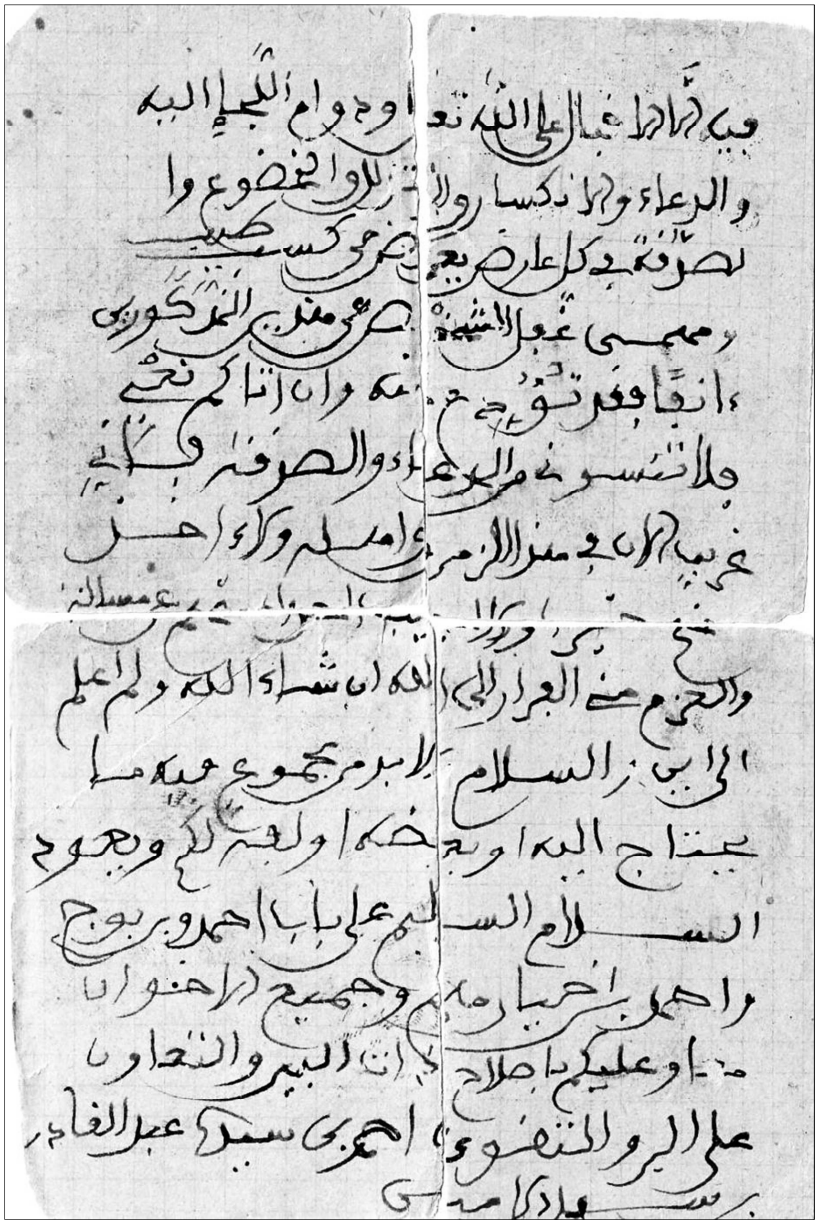

«**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمدُ لله الذي لا يَنْسَىٰ ولا يَغيب، **والصلاة** والسلام علىٰ النبِيِّ الحَبيب، وآله وصحْبه وتابعيهم بإحسان إلىٰ اليوم العصيب.

هذا وإنه بالسلام التام، الطيِّب العام، والرحْمة والبَرَكَةِ والإكْرام، من **عبْد مَوْلاهُ الفقير** إليْه، المُعَوِّلِ فِي كُلِّ الأمُور عليْه: **أحمد بن سيده عبد القادر**، إلىٰ اللبيب الأريب في المَوارِد والمَصادِر، الحاذق الفَطِين، ذِي السَيْبِ في شُهْبِ السِّنِين، أعْني:

سِيد الأمين بن سيد أحمد بن سيد الأمين، وقانا اللهُ – وإياهُ– كَيْدَ اللَّعِين، وجَعَلَنَا بالدِّين منَ المُعْتَنِين، **وإنَّه، بحمْدِ الله إليْكَ**، الذىٰ لا إله إلا هو، **والوَصِية لنفْسي ولكَ بتقْوَى الله** العظيم، **وعدَمِ الرُّكُونِ إلى الدنْيا** والمَيْلِ إليْها، وتَوَقِّي حَبَائِلها التي تصْطادُ بها مَنْ مَرَّ عليْها، **إذ هِي أسْحَرُ** منْ **"هَارُوت"** و**"ماروت"**، وليس لصاحِبها المُقْبِلِ عليْهاإلا أنْ يَكونَ لا يَمُوتُ، **واسْتعِذْ منْ شرِّها** بالله ربِّكَ، **وما وَجَدْتَ مِنْهَا فاجْعَلْهُ بيدِكَ، وأخْرجْه من قلْبِكَ**، إذْ **بُعْدُ** مَا بيْن **الدنْيا والآخِرة**، بُعْدُ ما بيْن **المَشْرق والمَغْرب**، ولا يَصِحُّ إمْساكُها لسَالكِ طريقِ الآخِرَة، إلا بعْد القدْرة علىٰ إمْسَاكها فِي يَدِه وإخْراجِها منْ قلْبِه، فإذا بَلَغَ ذلك، فلَهُ أنْ يُمْسِكَها، وَيفْعَلَ فيها ما يشاءُ، ويتصرَّفَ فيها كيْف شاءَ؛ لكوْنها صارتْ لا لُباهاةٍ، ولا تكاثُرٍ، ولا تفاخُرٍ، بل لعِفَّةِ النَّفْسِ عنِ السُّؤال، والنفقَةِ علَىٰ العِيال، وتأديةِ ما فرَضَ اللهُ فيها من الحُقوق، **واعلمْ أنَّ هذا الزّمان الصَّعْبَ** الذي صُبَّتْ فيهِ الذُّنُوبُ صبًّا، وعُمِلَ فيهِ بالمَعَاصِي **لا يَنْفَعُ فيه إلا الإقْبال على الله** تعالىٰ، ودوام اللُّجُوء إليْه، والدُّعاء، والانْكسار، والتذلُّل، والخُضوع، والصَّدَقَةِ فِي كلِّ عارضٍ يعْرِضُ من كسْبٍ طيِّبٍ، ومَهْمَا غفلَ الشَّخْصُ عن هذيْن المَذْكورَيْن آنفا فقد تُوُدِّعَ منْه.

وانْ أتاكمْ نعْيِي فلا تنْسَوْنِي من الدُّعاء، والصدَقة، **فإنِّي غريبٌ الآنَ** في هذا الزمَنِ وأهْلِه، ولا آخذ منْهم خَبَرا، ولا أجِيبُ أحَدا منْهمْ عنْ مَسْأَلَة.

ولا بُدَّ من مَجْمُوعٍ فيه ما يُحْتاجُ إليْه أوْ بعْضُه **أؤلفُه لكم**.

ويَعُودُ السلامُ السليمُ إلى بابَ أحمدو **بن بوج**، وأَحْمَد **بن أخْيارهم**، وجميع **الإخوان معًا وعليكمْ بإصْلاح ذاتِ البَيْنِ، والتعاوُنُ على البِرِّ والتقْوى.**

أحمد بن سيده عبد القادر بن سيد الأمين

واعل **بن السالك** أتانا، وإنِّي **مُوصِيك عليْه، وأوْصيتُه بطاعَتِك**، فأشفقْ عليّه، والسلام».

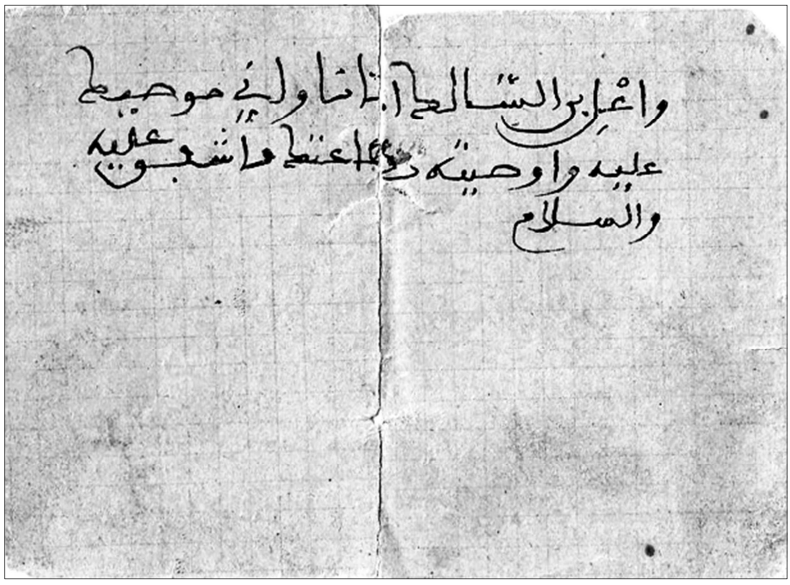

2- رسالة إلى سيد الامين بن الشيخ[1] وأخويه

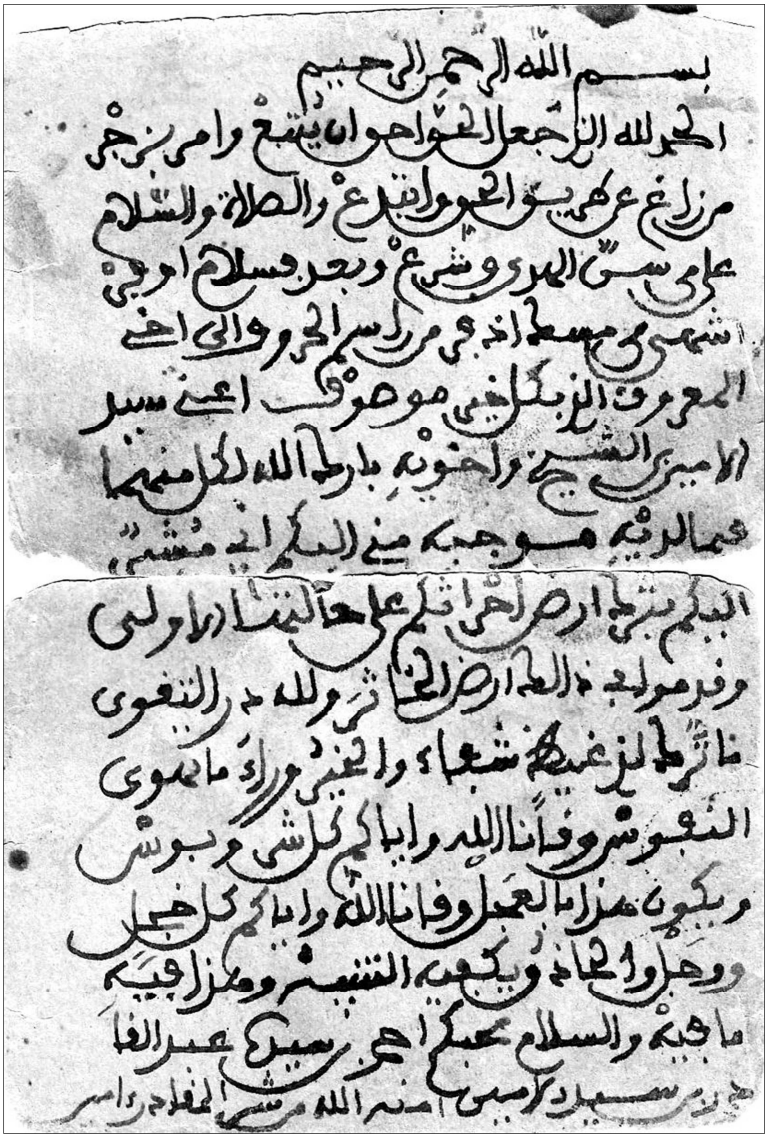

[1]- بن الشيخ (بن أنّ) من كبراء أهل الأزرق الكنتيين.

«**بسم الله** الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الحقَّ أحقَّ أنْ **يُتَّبَع**، وأمَرَ **بَزجْرِ منَ زاغَ** عن طريق الحقِّ وابْتَدَع، **والصلاة والسلام** على من سنَّ الهُدىٰ وشَرَع.

وبعد؛

فسَلامٌ أوْفَر، أشْهىٰ من مِسْكٍ أذْفَر، **من راسم الحُروفِ**، إلىٰ **أخي المَعْرُوف**، الذي بكل خيْرٍ موْصوف؛ أعْنِي **سِيدَ الأمِين بن الشيْخ وأخَوَيْهِ**، باركَ اللهُ لكلٍّ مِنْهُما فيما لديْه.

مُوجِبُه منِّى إليكم، أنِّىٰ **مُشِيرٌ إليْكمْ بترْكِ أحْرَاثِكِمْ علَى حَالَتِهَا الأولى**، وقَدِّمُوا في ذلك أرْضَ "الخَاثرَ". **ولله دَرُّ التقْوى ما تركَ لذِي غيْظ شِفاءً**، والخيْرُ وراءَ مَا تهْوَىٰ النُّفُوس، وقانَا الله- وإيَاكمْ- كلَّ شرٍّ وبُوس، ويكونُ هذا بالعَجَل، وقانَا الله- وإياكمْ- كلَّ خَجَلٍ ووَجَل، **والحاذقُ يكفِيه التنْبِيه**، وهذا فِيهِ ما فِيه.

والسلام.

محبكم: **أحْمد بن سيِّده عبد القادر** بن سيد الأمين، أمَّنَه الله من شرِّ المَقادِيرِ، آمين.

استدراك خير:

وإذا أتاكم الكتابُ فليكتبْ لِي **سيد الأمين** كتابا فيه أنَّه قطعَ نَظَرَهُ من ذلك العَمَلِ، وأنَّه أثْبَتَ كلَّ أحدٍ فِي حَرْثِهِ القَدِيمِ، أو بِعَدَمِ قبولِ ذلك، ويكونُ رَدُّ الجَواب بالعَجَل.

وكتبه كاتبُ أعْلاه، وما بِمُحَوَّلِه».

3- رسالة إلى الشيخ سيدي باب

«**بسم الله** الرحمن الرحيم، **الحمد لله** حق حمده، **وصلى وسلم** على نبيه وجنده، **والسلام عليكم** على قدر علو مقامكم ومجده، **إلى شيخنا الشيخ سيدي** من **العبد الفقير** الحقير الكسير الأسير: **أحمد بن سيدي عبد القادر** بن سيد الأمين.

أما بعد، سيدي، لازالت تهشُّ إليكمُ النِّعَم الجليلة، ويبشُّ ويَتَنَسَّمُ نحْوكمُ نسيمُ السعْد ويتجسم، ويتوسَّم وجُوهكمُ ناظرُ الودِّ ويتبسَّم

فاعلم، سَيِّدي- وإنْ كنْتَ الغَنِيَّ عن الإعلام، بما أطلعكَ الله عليه من خفايا الأنام- **أنِّي**، وإنْ عاقت **العوائقُ عن القدُوم، صَحَّحْتُ الزيارةَ بالمَعاني** دونَ الرُّسُوم،

ومن أجْل ذلك أطلُب منكمُ **الجمْع بيْن الضّرَّتيْن**، والقِرَانَ بيْنَ **الحَسَنَتَيْن**، والحُصولَ على كِلْتا **السعادَتَيْن**، والفوْزَ بكلا **الفَخْريْن والعِزَّتَيْن**، ما **لا يُوصلُ إليه**، ولا يُحْصل عليه، **إلا بمحْض فضْلِ الله** وعِنايَته، **وبركة التعلق بخاصَّتِه** من أهْل وُدِّهِ وولايَتِه.

ثم **ليكنْ في كريم عِلْمِكَ أيها الأكْرمُ** الأرْحم، الأرفق، الأرْأف الأعطف الأشفق، **أني طرحتُ نفْسي بين يديْكَ**، وألقيْت مَقاليدَ أمُوري إليْك، إذ (النَّبِيُّ أوْلى بالمؤمنين من أنفسهم)، هذا، **ومُرَادِي لَفْتَةٌ صَمَدِيَّة**، مِمَّنْ قُدِّسَ في أزَل الأزليَّة، برحِمة الرحْمانية... **تنيرُ صدْرِي، وتُنِيفُ قدْري**، وتبلِّغني من كلِّ خيْر، ما دريْتُ وما لا أدْري».

الرياحي:

البُعْـدُ لـيس لـه عـلَى أهْـلِ الـولا ... حُكْـم، وهـلْ أمْـر الولايـة يُعقـلُ
مـا عـاقَ أصْـحَمَةَ النَّجـاشِيِّ بعْـدَه ... عـنْ أنْ تـوَلَّاهُ الرَّسُـولُ الأفْضَـلُ

وقد قلت:

أغِيثــوا، مَــنْ لكــمْ عِــزٌّ وجَــاهُ قــريحَ القلْــب، شــوْقكمُ وَجَــاهُ
تُقلِّبُــه الهُمُــومُ حَلِيــفَ شَــوْقٍ يُصَــيِّرُهُ كمَسْــلوبٍ نَجَــاهُ
سَــألْتُ وِصــالَكمْ ربًّــا رحِــيمًا كــريمًا، لا يَخِيــبُ مَــنْ رَجَــاهُ

والسلام عليكم ما تعاقبتْ حرَكاتُ العالمِ وسكناتُه.

أيُّهــا الغــائبونَ عنَّــا، وإنْ كنــتْم لِقَلْبِــي بــذكركمْ حيْرانــا[1]

[1] – هارون بن الشيخ سيدي: مسودة الجزء الخاص بكتته من كتاب: **الأخبار** "المدون"، ص 105.

المؤلف في سطور

أدي ولد آدب -شاعر- وباحث موريتاني (دكتوراه في اللغة العربية والأدب).
له حوالي عشر مجموعات شعرية، نشرت منها وزارة الثقافة الجزائرية 2009م، ديواني:

1- **رحلة بين الحاء والباء.**

2- **تأبط أوراقا.**

3- **بصمة روحي**، مؤسسة آفاق، مراكش، ط1، 2018.

ونشرت له بحوث ومقالات، كما نشرت له كتب:

1-**"الإيقاع في المقامات اللزومية للسرقسطي"**، نشرته دائرة الثقافة والإعلام في الشارقة، 2006م.

2-**"المفاضلات في الأدب الأندلسي/ الذهنية والأنساق"**، نشر 2015 من قبل المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات بالدوحة.

3- **تأويل رؤياي: أطروحات صغيرة في الأدب والثقافة**، مؤسسة آفاق، مراكش، ط 1، 2019م، (يضم حوالي 150 مقالا).

وأخيرا سلسلة: **"أدبيات أهل آدب"**:

1- **أهل آدب: سلالة الشعر وبيت القصيد**، مؤسسة آفاق، مراكش، ط1، 2020.

2- **المقاومة الأخلاقية في أدبيات أهل آدب**، مؤسسة آفاق، مراكش، ط1، 2020.

3- **سيدي ولد آدب: رمز الفتى الكنتي، فارس المدفع والقلم**، مؤسسة آفاق، مراكش، ط1، 2020.

4- **الشيخ أحمد بن آدب: شيخ المشايخ وقطب الشعراء**، مؤسسة آفاق، مراكش، ط1، 2020.

5- **خديجة "دَيَّه" بنت سيدي بن آدب: خنساء شنقيط**، مؤسسة آفاق، مراكش، ط 1، 2020.

وفي الأفق سلاسل أخرى، إن شاء الله.